جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة.

دروس في مقياس الحجاج الفلسفي

السنة الأولى ماستر

إعداد الأستاذ: لزهر عقيبي **الدرجة العلمية: أستاذ محاضر –ب–**

السنة الجامعية: 2021/2020

فهرس المحتويات

المحور	المحتويات	الصفحة
***	فهرس المحتويات	2- 4
....	صورة المقياس في مشروع تكوين الماستر فلسفة عامة	5-6
***	مقدمة عامة:	7- 8
***	**الحجاج الفلسفي1**	9
01	**مداخل مفهومية وتأسيسية.** **المحاضرة01: الحجاج والمفاهيم المرتبطة به** -تمهيد 1- مدخل مفاهيمي للحجاج: أ- تعريف الحجاج عامة. ب- المفاهيم المرتبطة بالحجاج:(الخطاب، النص، اللسانيات، السيمياء، علم الدلالة، التداولية، الجدل...) - خلاصة: **المحاضرة 02: مدخل تأسيسي للحجاج الفلسفي:** أ- تعريف الحجاج الفلسفي ب- تاريخ الحجاج الفلسفي د- أنواع الحجاج الفلسفي هـ- الطرق الاستدلالية والبلاغية في الحجاج الفلسفي خلاصة:	10-23
02	**موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي** **المحاضرة01: الخطاب الفلسفي بين الحجاج والبرهان** **تمهيد:** 1- خصائص الخطاب الفلسفي 2- الخطاب الفلسفي بين الحجاج والبرهان 3- خلاصة **المحاضرة 02:أهمية الحجاج في الخطاب لفلسفي** **تمهيد:** أ- الاهمية الديداكتيكية التعلمية ب- الأهمية الفلسفية ت- à الأهمية اللسانية اللغوية ث- الأهمية التداولية العملية الخلاصة:	24-29

03	**نظريات الحجاج الجدلي.** **المحاضرة01: طبيعة العلاقة بين الحجاج والجدل في تاريخ الفلسفة** 1- تعريف الجدل. 2- نبذة تاريخية عن الحجاج الجدلي خلاصة **المحاضرة02: بعض** نظريات الحجاج الجدلي المعاصرة أ- الحجاج الجدلي عند دوغلاس ولتون : ب- الحجاج الجدلي عند ف. فون إميرن وغروتندورست ج- الحجاج الجدلي التأويلي عند بول ريكور. خلاصة:	39-30
04	**نظرية الحجاج البلاغي الأرسطي** **المحاضرة01: مفهوم أرسطو للحجاج البلاغي** تمهيد: 1- تعريف البلاغة. 2- ميلاد الحجاج البلاغي. 3- الحجاج البلاغي عند أرسطو **المحاضرة02:** أثر أرسطو المعاصر (نظرية البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتتيكا) خلاصة:	
05	**نظريات الحجاج اللغوي أو اللساني** **المحاضرة01: بيعة الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر** تمهيد: 1- أسس نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر 2- مفهوم التداولية المدمجة. 3- الحجاج اللغوي عند ديكرو 4- خصائص الحجاج عند ديكرو **المحاضرة02:** **تمهيد** 5- نظرية السلالم الحجاجية 6- الروابط والعوامل والمبادئ الحجاجية. خلاصة.	51-40
***	الحجاج الفلسفي2	
01	**الحجاج في الفلسفة العربية الإسلامية** **المحاضرة01:**الحجاج في علم الكلام الإسلامي	65-53

	المحاضرة02: الحجاج في المناظرة والجدل **المحاضرة03:** الحجاج في البلاغة. خلاصة:	
02	**نظرية الحجاج التداولي.** **المحاضرة01:** الحجاج التداولي من خلال نظرية أفعال الكلام **المحاضرة02:** نظريات أخرى في الحجاج التدولي: - نظرية ترودي جفييه - نظرية ويلار	70-66
03	**الحجاج المنطقي الطبيعي** **المحاضرة01: مفهوم الحجاج المنطقي الطبيعي** تمهيد 1- الحجاج المنطقي الطبيعي عند قريز جون بليز 2- مفهوم الخطاطة عند إمليو قاتيكو خلاصة	74-71
4	**المقاربة الحجاجية** **المحاضرة01: مفهم المقاربة الحجاجية وشروطها** تمهيد 1- تعريفها 2- خطواتها 3- مجالاتها	77-75
5	**البرهان في اللغة الرمزية** **المحاضرة01:** تمهيد: 1- مفهوم اللغة الرمزية 2- أنواع اللغة الرمزية 3- البرهان في اللغة الرمزية العلمية البرهان في اللغة الرمزية الأسطورية والخرافية	79_78
	خاتمة	79-78
***	المصادر والمراجع	83-80

صورة المقياس في مشروع تكوين الماستر فلسفة عامة

عنوان الماستر: فلسفة عامة

السداسي: الأول

إسم الوحدة: منهجية

إسم المادة: الحجاج الفلسفي1

الرصيد: 3

المعامل : 2

أهداف التعليم:

يهدف الخطاب الفلسفي بالارتقاء بالطالب إلى مستوى التسامح الفكري والابتعاد عن العنف والتطرف.

التأسيس لذهنية ونفسية قبول الرأي الآخر والتأسيس للاختلاف البناء.

بناء ذهنية الإقناع والبرهان والحجاج العقلاني المؤسس على الأدلة والبراهين.

المعارف السابقة:

محاور المادة:

مداخل مفهومية وتأسيسية

موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي.

نظريات الحجاج الجدلي.

الحجاج البلاغي الأرسطي.

نظريات الحجاج اللغوي واللساني.

نظريات الحجاج التداولي.

طريقة التقييم: متواصل –امتحان

المصادر والمراجع:

أرسطو: فن الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2008م.

أميمة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2010م.

أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2010م.

أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

عنوان الماستر: فلسفة عامة.

السداسي: الثاني

اسم الوحدة: منهجية.

اسم المادة: الحجاج الفلسفي2

الرصيد: 3

المعامل : 2

أهداف التعليم :

- يهدف الخطاب الفلسفي بالارتقاء بالطالب إلى مستوى التسامح الفكري والابتعاد عن العنف والتطرف.
- التأسيس لذهنية ونفسية قبول الرأي الآخر والتأسيس للاختلاف البناء.
- بناء ذهنية الإقناع والبرهان والحجاج العقلاني المؤسس على الأدلة والبراهين.

المعارف السابقة:

محاور المادة:

- نظرية الحجاج في الفلسفة الإسلامية (علم الكلام، البلاغة، فنون، المناظرة، الجدل)
- نظريات الحجاج التداولي.
- نظريات الحجاج المنطقي والطبيعي.
- آليات المقاربة الحجاجية.
- البرهان في اللغة الرمزية.

طريقة التقييم: متواصل – امتحان

المصادر والمراجع:

أرسطو: فن الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2008م

.أميمة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2010م.

أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2010م.

أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

مقدمة عامة:

يندرج مقياس الحجاج الفلسفي ضمن الوحدات المنهجية لبرنامج السنة الأولى ماستر، وتتوزع وحدات المقياس على ستة محاور في السداسي، ويكتسي أهمية ديداكتيكية ولغوية وفلسفية هامة في الخطاب الفلسفي، فمن شأن هذا المقياس أن يعلمنا أن الخطاب الفلسفي خطاب مؤسس على حجج وبراهين، وأن اللغة باعتبارها وسيلة التعبير عن الخطاب تتضمن قوة حجاجية كبيرة، ليس فقط في بعدها البلاغي الفصيح، بل بما تقدمه من انتظام في بنيتها الداخلية، وبانفتاحها على حياة الناس الاجتماعية والثقافية والعملية، لذا كان ارتباط الحجاج باللسانيات هو ارتباط ضروري، يضفي على الخطاب الفلسفي بعدا تنظيميا وعمليا على السواء، هذا فضلا على أن الحجاج يضيف للخطاب الفلسفي، من خلال طرقه البلاغية والاستدلالية صفة التماسك والانسجام المنطقي وقوة الإقناع والتأثير في الخصوم والمختلفين عنا في الرأي أو المواقف.

إن من أهداف مقياس الحجاج الفلسفي المعلنة هو " الارتقاء بالطالب إلى مستوى التسامح الفكري والابتعاد عن العنف والتطرف. التأسيس لذهنية قبول الرأي الآخر والتأسيس للإختلاف البناء. بناء ذهنية الإقناع والبرهان والحجاج العقلاني المؤسس على الأدلة والبراهين."[1] وهي أهداف تندرج ضمن الروح الفلسفية التي تقوم على الحوار والجدل واحترام الرأي الآخر ونشدان الحق والحقيقة.

المطبوعة تلتزم بعناصر المقياس، التي تدور– إلى جانب المدخل المفهومي والتأسيسي للحجاج– على نظريات الحجاج المعاصرة، غير أن الفكرة المحورية لبرنامج المقياس هي تحليل نظريات الحجاج المعاصرة التي تعرض للحجاج من خلال أسس مختلفة.

ومن الناحية المنهجية فقد التزمت في عرض أفكار المقياس على أسلوب المحاضرة، حيث كل موضوع من المحاضرات يعرض لمحور معين من البرنامج أو جزء منه، ويبدأ في كل محاضرة بالتمهيد للموضوع وصياغة إشكاليته المحورية وتحليل عناصره الأساسية وشرحها والإنتهاء إلى خلاصة تحصيلية.

أما من حيث المصادر والمراجع فإن البرنامج الرسمي لا يشير للأسف إلى المصادر والمراجع الأجنبية، ولذا حاولت تجاوز ذلك بتنويع المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وهذا

[1] أنظر مشروع التكوين الوطني الخاص بماستر فلسفة عامة لسنة 2016، وبالضبط إلى أهداف مقياس الحجاج الفلسفي.

يتأسس على ضرورة العلم بالطابع المعاصر والأجنبي لنظريات الحجاج والتي بدأت تتشكل ابتداء من " نظرية البلاغة الجديدة" مع بيرلمان وتتيكا، ونظرية الحجاج اللغوي مع أوزوالد ديكرو وأونسكومبر، ثم توالت نظريات الحجاج التداولي والجدلي في الفلسفة الأنجلوسكسونية...الأمر الذي يتطلب تنويع المصادر والمراجع الأجنبية التي تغطي هذه الكثافة من النظريات الجديدة في الحجاج.

ومن المهم الإشارة إلى تكرار محور " الحجاج التداولي " في برنامج المقياس في السداسي الأول والثاني، ولذلك حذفته من برنامج السداسي الأول تلافيا للتكرار، مع العلم أنه يمكن إضافة نظريات أخرى في الحجاج لم يتطرق إليها البرنامج مثل " نظريات الحجاج الخطابي" وقد استغنيت على إضافته هنا حتى لا أضيف للبرنامج ما ليس فيه رسميا.

والله ولي التوفيق.

الحجاج الفلسفي1

السداسي الأول

المحور 1: مداخل مفاهيمية وتأسيسية

المحاضرة 1: مدخل مفاهيمي للحجاج والمفاهيم المرتبطة به.

تمهيد:

يرتبط مفهوم الحجاج الفلسفي بمفاهيم كثيرة تدخل في سياق تأسيسه وطبيعته ووظيفته وأهميته الحجاجية والفلسفية، فهو يتعلق باللغة، وبالتالي بمفاهيم الخطاب واللسانيات وعلومها المختلفة مثل السيمياء وعلم الدلالة والتداوليات، ومفاهيم التواصل والحوار والجدل والمناقشة، واستراتيجيات المحاجة والبرهان على المواقف و التأثير في الآخرين وتوجيههم أو إقناعهم...ومن هنا يكتسي الحجاج أهميته الفلسفية في الخطاب الفلسفي، ويكون علينا في هذه المحاضرة التساؤل أولا عن ماهيته العامة وطبيعة المفاهيم الأساسية التي يرتبط بها، والتي ستساعدنا على فهم طبيعته وما يتأسس عليه تاريخيا.

1-تعريف الحجاج عامة :

لغة: من الناحية اللغوية الحجاج مشتق من الفعل حاج وحاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حاججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة[2]، ومن اشتقاقاته نجد المحاجة نقول حاجه محاجة حجاجا أي جدالا، ومن اشتقاقاته أيضا الاحتجاج من احتج رفض بمعنى عارض واستنكر، و أقام الحجة على غيره، و نجد أيضا من اشتقاقاته الحجة أي الدليل و البرهان.

وفي القاموس الاشتقاقي étymologique لم تظهر كلمة الحجاج argumentation إلا في القرن 19[3] حيث اشتقاقاتها من الكلمات قد سبقتها مثل فعل arguer في اللاتينية التي وردت بمعنى أثبت prouver ، ومثل الفعل argumenter والأسماء مثل argument أي حجة argumenteur أي محاجج.

اصطلاحا : في المعجم الفلسفي لجميل صليبا يعرف الحجاج بأنه " جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها"[4]

---

[2] بن منظور الأنصاري: لسان العرب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1، ج2, 2003. مادة حجاج. ص: 257.

[3] J.Dubois, H.Metterand, A. Dauzat : Dictionnaire étymologique et historique du français. Editions Larousse. 2006. Mot : arguer.

[4] جميل صليبا: المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت، 1972، مادة حجاج. ص: 446.

وعند لالند La Lande في معجمه الفلسفي والتقني الحجاج هو " سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها، أو طريقة عرض الحجج وترتيبها."[5]

ومن خلال التعريفين السابقين يبدو أن الحجاج يتطلب أولا موقفا أو نتيجة أو مقصدا أو رأيا ندافع عليه أو نرفضه، وهذا يستلزم ثانيا وجود حجج ملائمة لذلك الموقف، وثالثا أن تنتظم هذه الحجج في ترتيب منهجي معين يجعلها أكثر فعالية في إثبات الموقف أو رفضه.

وأما من الناحية الفلسفية يذهب مشال ماير M.Mayer في كتابه " ماهو الحجاج ؟" إلى ربط الحجاج بالمحادثة الشفوية التي تقوم على السؤال والجواب، فبالنسبة له " الحجاج: حاجج هو تقديم إجابة على سؤال معطى بقصد إلغائه. الوفاق ينتج عن هذا الإلغاء. وإذا استمر عدم التوافق فإن المخاطب يقدر أن السؤال لم يحل، ويعتبر أن الجواب المطروح ليس واحدا."[6] أي أن السؤال يحتمل إجابات أخرى يمكنها إقناعه، ولهذا يرتبط الحجاج أكثر فأكثر بالاختلاف بين الأطراف وبالجدل والنقاش بينها ويتجه إلى جمهور أو متلقي معين.

أما شايم برلمان Ch. Perelman مفكر بلجيكي معاصر من أصحاب " البلاغة الجديدة " فإنه يعرف الحجاج بأنه " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم"[7] فتقنيات الخطاب هي وسائله الحجاجية التي تحمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه من آراء وأفكار أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع. ولهذا يمكن القول أن الحجاج هو وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه وتوجهاته وانتقاداته.

ويذهب توزي Tozzi إلى أن " الحجاج هو القدرة على دعم أطروحة، والتحقق منها أو الاعتراض عليها بواسطة أفكار مؤسسة بشكل قوي وبراهين فكرية."[8]

2- المفاهيم المرتبطة بالحجاج:

الخطاب: Le discours الخطاب بحسب ابن منظور مرادف للحديث والكلام، فهو عنده من المخاطبة، وهي " مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، فهما يتخاطبان،

---

[5] أندريه لالاند: موسوعة لالند الفلسفية. تر: خليل أحمد خليل. منشورات عويدات، ط2، ج1، 2001، بيروت، لبنان. مادة حجاج. ص: 94.

[6] Michel Mayer : Qu'est ce que l'argumentation. Vrin, p : 115

[7] كمال الزماني: الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال مصنف كتاب " البلاغة الجديدة" لبيرلمان وتتيكا. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية. المركز الديموقراطي العربي. بيرلين . ألمانيا. العدد : 11. المجلد 2. كانون الثاني 2020. ص: 117.

[8] د.بيار مالك: الفلسفة وتعليمها. المنهل 2016,ص: 167,

والمخاطبة مفعول من الخطاب"[9] هذا يدل أن الخطاب مرتبط بالكلام، وبالتالي بما هو منطوق، فهو كلام مكون من جمل متوالية لها موضوع محدد موجه لفئة معينة أو متلقي، ويؤدي مقصدا معينا.

لكن هذا الفهم للخطاب لم يعد كافيا في الفلسفة المعاصرة، حيث أصبح الخطاب مرتبطا أكثر بالإتصال والتواصل والتفاعل الاجتماعي بين الناس، ومن هنا انتقل مفهوم الخطاب إلى كل وسيلة أو شكل يخدم ذلك التفاعل والاتصال بما في ذلك النصوص المكتوبة وما يمكن أن تقدمه الوسائل السمعية والبصرية كالسينما والتلفزة والإذاعة مثل الإعلانات والأفلام والمسلسلات، وما يمكن أن تقدمه المؤسسات المختلفة من أشكال مختلفة من الخطاب الديني والسياسي والتربوي... ومن هنا يرى ميشال فوكو: أن الخطاب انتقل " من فعل النطق إلى المنطوق نفسه، نحو معناه وشكله وموضوعه وعلاقته بمرجعه"[10] وبالتالي ليس الخطاب فقط كلاما شفهيا، بل هو كلام مكتوب أو مسموع أو مرئي له دلالته الاجتماعية والمعرفية.

النص:Le texte: يميز بول ريكور بين النص والخطاب، فإذا كان الخطاب يشمل كل ما هو كلام شفوي وكل ما هو مكتوب، فإن النص مرتبط فقط بما هو مكتوب له بنيته وشكله الخاص مثل المقال، والرواية والقصة والبحث العلمي...فالنص هو كل كلام مكتوب له نسيجه الخاص، أو بتعبير ريكور: " النص هو كل كلام مثبت بالكتابة "[11]

اللسانيات: " علم اللغة، بمعنى الدراسة الموضوعية الوصفية والتفسيرية لبنية وطريقة اشتغال وتطور اللغات الطبيعية الإنسانية "[12] وبهذا المعنى تختلف اللسانيات عن فلسفة اللغة التي تهتم بأصل اللغة وعلاقتها بالفكر وبالحقيقة. يقول مارتيني : " اللسانيات دراسة اللغة على نحو علمي" أي يدرس اللغة بشكل عام خصائصها وبنيتها أو تركيبها، ووظائفها. ويتضمن علم النحو ، علم الصرف، علم الصوتيات la phonétique علم العلامة أو السيمياء la sémiologie، علم الدلالة la sémantique ....)

---

[9] بن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، مادة: خطاب.

[10] مشال فوكو: نظام الخطاب. ط1. تر: محمد سبيلا دار التنوير.ط1 1984. بيروت. لبنان. ص:8,

[11] Paul Ricoeur : Du texte à l'action. herméneutique II, éditions du Seuil. P : 80

[12] Sous La direction de Georges Mounin : Dictionnaire de la Linguistique ; mot : Linguistiques.4e éditions. Quadrige/ Puf. p ;p : 204. 205.

علم الدلالة: La sémantique " قسم من اللسانيات يدرس المعنى أو مدلول الوحدات النحوية، تارة في علاقتها بدوالها، وتارة في ذاتها نفسها" [13] بدراسة دلالة الكلمات و العبارات بحسب السياق الذي توجد فيه، فهو يهتم بالدلالات المختلفة للكلمات والعلاقات بين هذه الدلالات ومسألة الحقيقة المرتبطة بها.

السيمياء: La sémiologie "علم يعالج الأنظمة والمجموعات غير المنتظمة للإشارات المستخدمة للتواصل "[14] إذن فهو يهتم بالعلامات اللغوية و غير اللغوية كلغة إشارات المرور، كما أن هذه العلامات قد تكون منتظمة في نسق وقد لا تكون. جورج مونان يعرف السيميولوجيا بأنها العلم الذي يدرس كل أنساق العلامات أو الرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس.

الفرق بين السيمياء و علم الدلالة :

السيمياء أو السيميولوجيا يعنى بالرموز والعلامات بغض النظر عن دلالتها أما علم الدلالة فهو يدرس الدلالة في اللغة البشرية فقط، والسيمياء علم مجرد مادام يهتم بالعلامات والعلاقات بينها، بينما علم الدلالة يرتبط أكثر بالواقع ودلالة الألفاظ في سياقها الخاص. وبالتالي فالسيمياء أو السيميولوجيا هو علم أشمل.

التداولية : تترجم أيضا بالبراغماتية،pragmatique وهي فرع من اللسانيات يعنى بدراسة كيفية استخدام الألفاظ في الأفعال التواصلية، و الدور الذي يلعبه السياق في نقل المعنى (كيف نتداول لفظا معينا حسب السياق الاجتماعي مثلا) فالتداولية هي " علم استعمال اللغة في المقام كما تظاهر على القول بذلك كثير من اللسانيين وفلاسفة اللغة "[15]

علم البلاغة : أي الفصاحة علم مطابقة الكلام بالاعتبار المناسب للمقام مع فصاحة ألفاظه، وإذا كانت البلاغة الكلاسيكية أسلوبية أي تهتم بجمالية الأسلوب، فإن البلاغة الجديدة هي " نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج. "[16]

[13] Ibid , mot : Sémantique, p : 293.
[14] Ibid, mot : Sémiologie. P : 295
[15] صابر الحباشة: التداولية والحجاج. مداخل ونصوص. صفحات للدراسات والنشر. ط1. 2008. دمشق. سوريا. ص: 11.
[16] المرجع نفسه. ص: 15.

الاستراتيجية الحجاجية: هي وضع خطة عامة منهجية و منطقية تتضح من خلالها الوسائل والمراحل و الأهداف المراد تحقيقها، وتعرف أيضا بأنها فن توزيع مختلف الوسائل الحجاجية واستخدامها لتحقيق الإقناع عبر مراحل متدرجة زمنيا و منطقيا .

يعرف (فوكو) الاستراتيجية بمايلي:

أولا: للتدليل على الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة.

ثانيا: للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه تصرفه هو، باختصار الطريقة التي تحاول بها التأثير على الاستسلام.[17]

أما في اللسانيات التداولية تعرف الإستراتيجية بوصفها محصلة لسلسلة من عمليات الاختيار واتخاذ القرار التي تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف اتصالية.[18]

أنواعها : الباحثون يتكلمون عن ثلاثة أنواع من الاستراتيجية هي :

إستراتيجية الإثبات : وتقوم على عرض موقف معين و البرهنة عليه بحجج عقلانية وبلاغية و لغوية .

استراتيجية النفي : و تقوم على دحض موقف معين من خلال أدلة و براهين ملائمة .

استراتيجية السجال : هي الهجوم على خطاب الخصم قصد إضعافه، ويكون الاستدلال فيها بالخلف بإظهار كذب الموقف المضاد و بيان سخافته أو يكون عن طريق استراتيجية الاحراج بوضع الخصم ضمن مفارقة لا يخرج عنها أو يكون عن طريق السخرية بموقف معين كما هو الحال في الحجاج السقراطي المبني على التهكم.

الايتوس الباتوس واللوغوس: مصطلحات يونانية أول من أشار إليها هو أرسطو في كتابه " الخطابة" لكل منها دلالته المختلفة عنده ، لكن ترتبط كلها بمفهوم الخطاب، حيث يصدر الخطاب عن متكلم أو كاتب هو الايتوس، فهو الإنسان المخاطب وما يحمله من مكانة وثقافة ومعرفة وسلطة، و الباتوس يعبر عن من يتجه إليه الخطاب وهو المتلقي أو الجمهور

[17] أوبيير دريفوس وبول رابيوف: ميشيل فوكو. مسيرة فلسفية. تر: جورج أبي صالح. مراجعة وشروح مطاع صفدي. مركز الانماء القومي. بيروت. ص: 200

[18] فولفجاج هاني وديتر فنهفيجر: مدخل إلى علم اللغة. تر: فالح شبيب العجمي. جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د،ط، 1999. ص: 314.

أو شخص ما، فالباتوس هو كل من يتلقى الخطاب ومكانته وموقعه الاجتماعي والثقافي، أما الرسالة التي يتضمنها الخطاب هي اللوغوس، فاللوغوس هو موضوع الخطاب أو رسالته.

خلاصة: يتضح مما سبق أن مفهوم الحجاج مرتبط بكثير من المفاهيم الخطابية واللسانية والمنطقية: فهو ضروري لأي خطاب شفوي أو مكتوب، ولا يستقيم الخطاب إلا به، فهو وسيلته في الإقناع والتأثير في الغير هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الخطاب هو حامل الحجاج بحيث لا يظهر الحجاج إلا في خطاب.

ويتطلب الحجاج استراتيجية أو خطة منهجية تحدد قصد المتكلم في الدفاع عن موقف معين أو رفض آخر، بحيث يستطيع ضمنها أن يحدد وسائله وأهدافه.

ويتأثر مفهوم الحجاج باللسانيات بحيث أن كل شكل منها يعطيه طابعا معينا، وهكذا فعلم السيمياء يحصر الحجاج داخل بنية اللغة ويظهر إمكاناتها الحجاجية، وعلم الدلالة يظهر أهمية ارتباط اللغة العادية بالواقع و غنى دلالاته، ومن ثم يربط الحجاج أيضا بالواقع، وأما التداوليات فهي تجعل من الكلام أفعالا، وبالتالي تربط الحجاج بالسياق العملي لحياة الناس مما ساهم في إثراء أساليب الحجاج.

المحاضرة2: مدخل تأسيسي للحجاج الفلسفي:

تمهيد: بعد تعرفنا على مفهوم الحجاج عامة وعلاقته بالمفاهيم المرتبطة به، نأتي إلى الحجاج الفلسفي بصفة خاصة، ونبحث عما يؤسسه ماهويا وتاريخيا و نوعيا، وبالتالي فالإشكالية المحورية هنا: على ماذا يتأسس الحجاج الفلسفي كحجاج نوعي ؟

تعريف الحجاج الفلسفي:

إن الطابع الفلسفي للحجاج الفلسفي يجعله مرتبطا باستراتيجية معينة، قد تكون نظرية فلسفية أو خطة منهجية في الدفاع عن موقف أو رفض آخر، ويتميز بطابعه العقلي والمنطقي، وهو يتجه إلى جمهور عالمي، فما يحكم الخطاب الفلسفي هو العقل الكوني، وهذا يعني " " أن الحجاج الفلسفي يكون عقليا لا عاطفيا، وذلك عبر توجهه نحو جمهور عالمي، لهذا يجب أخذ اعتراضات الآخرين على وجهة نظرنا وحججنا كمثيرات للتفكير."[19]

على هذا الأساس يمكن تعريفه بأنه قدرة على الإقناع العقلي الذي يتشكل في متوالية من الأقوال و الحجج والبراهين التي تخدم إستراتيجية معينة في الدفاع عن موقف أو قضية ما أو رفضها. وقريبا من هذا المعنى يذهب الأستاذ طه عبد الرحمان إلى أن الحجاج هو: " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه ودعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."[20] فمفهوم الحجاج يتضمن مقولات الادعاء والاعتراض، وبالتالي الحاجة إلى الفهم والتأويل لتقريب المعنى وتحقيق الإقناع.

وهو عند أصحاب الحجاج الخطابي نوع من أنواع الحجاج القائم على فن الإقناع العقلي وتوضيح المنطق الداخلي للخطاب لتأكيد مدى انسجامه، حيث أن ما يجعل الخطاب قويا أمام الخصوم هو عدم تناقض وحداته. حيث يرى أوليفيي ريبول (Olivier Reboul) أن الخطاب الفلسفي هو" مجموع متسق من الجمل متماسك، يملك وحدة معنى، ويتحدث عن موضوع ما."[21] أما روت أموسي التي تنظر إلى الحجاج نظرة تواصلية وتوحد بين البلاغة والحجاج، فبالنسبة لها هذان" الكلمتان تشيران إلى جملة الوسائل الفعلية الموجهة

---

[19] د.بيار مالك: الفلسفة وتعليمها. المنهل.2016. ص: 162

[20] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص: 224.

[21] عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، الطبعة1، 2006، ص:46.

لفعل جذب السامع لأطروحة بتأسيس توافق حول المعقول."[22] وبهذا تؤكد أن المقصد الحجاجي في البلاغة والحجاج واحد وهو إقناع السامع بفحوى أطروحة ما.

تاريخ الحجاج الفلسفي:

بما أن الحجاج مرتبط بالخطاب الشفوي والمكتوب، فهذا يعني أنه فن قديم قدم الخطاب، غير أن هناك فرق بين وجود الحجاج في الخطاب تاريخيا، وبين الوعي بأهميته في الخطاب والتفكير فيه كموضوع للمعرفة، ومن هنا يمكننا تتبع ظهوره في الفلسفة كما يلي:

ما قبل أرسطو:

كان بارمنيدس من خلال قصائده الشعرية يميز بين" طريق يرعاه العقل الإلهي في الوصول إلى حقيقة مطلقة غير نافذة الصلاحية، وطريق يستند إلى الرأي العام ويفتقر بالضرورة لخاصية الثبات ولا يمنح ضمانا كافيا في معرفة الحقيقة المطلقة."[23] وهكذا فالتمييز بين العلم والرأي يضرب بجذوره في تاريخ الفلسفة والفكر بشكل عام، وقد ترتب على هذه العلاقة مواقف متناقضة: حيث عمد السوفسطائيون إلى رفض وجود حقائق مطلقة، مادام كل حقيقة قابلة للنقاش والجدل وإبداء الرأي, و" أوضح غورغياس على أن كل موضوع يحتمل شكلين متناقضين من الخطاب، بمعنى أن مفهوم الصلاحية validité لأي كلمة وقابليتها لإنتاج معان جديدة تستند على معرفة المعنى المسبق المحدد لها، وما يتضمنه من قيمة أخلاقية واجتماعية في آن، وهذا ما يمنح أي إنسان– بمعزل عن المنطق التراتبي وتصنيفاته الشكلانية للجنس البشري– الحق في النقاش والحوار."[24]

إن هذا يدل على ارتباط الحقيقة عند السوفسطائيين بالإنسان الفرد ومصالحه ومواقفه في الحياة العملية، وبالتالي ازدهرت عندهم الخطابة والبلاغة والجدل، وأصبح الحجاج يستهدف إقناع الخصوم أو التأثير فيهم وتغيير مواقفهم، وهدف التعليم هو صنع الخطباء الأقوياء والمجادلين في السياسة والقضاء وأمام الجمهور العام.

غير أن ربط الحقيقة بالمصالح الفردية عند السوفسطائيين جعل الحجاج يكتسي طابعا مغالطيا، مادام الانتصار للرأي الفردي يتم بكل الوسائل بما فيها القوة أو الحيلة أو

---

[22] Vahram Atayan, Daniela Parizzini : Argumentation : théorie, langues, discours. Editions Peter Lang. 2009. P :237

[23] شاييم بيرلمان: امبراطورية البلاغة، ترجمة: أنوار طاهر.2016/4/27. بتاريخ: 2021/01/15 الساعة: 19: 10. https://hekmah.org/%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D

[24] المرجع نفسه.

الاستعطاف، أو كما يقول أرسطو: " إما تبكيت المخاطب، وإما أن يلزمه شنعة وأمرا هو في المشهور كاذب، وإما أن يشككه، وإما أن يصيره بحيث يأتي بكلام مستحيل المفهوم، وإما أن يصيره إلى أن يأتي بهذر من القول يلزم عنه مستحيل في المفهوم بحسب الظن.[25]"

وهكذا ظهر مفهوم الحجاج المغالطي كمفهوم يدل عل القصد إلى استخدام المغالطات التي "صارت مغالطات يهدف من ورائها إلى إقناع المتلقي برأي ما، أو دفعه إلى تغيير سلوك معين باحتجاج مغالط، أو بالعبارة الأرسطية بسفسطات، وحد السفسطة أنها استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة، إما لفساد في المضمون أو في الصورة."[26] ومن مظاهر الحجاج المغالطي المصادرة على المطلوب، تجاهل المطلوب، حجة التعميم، حجة العاطفة، حجة السخرية، حجة الاسترحام، حجة الإغاظة، حجة التجريح، حجة الخبير، حجة التراثي، حجة الحداثي....

لم يقبل سقراط هذه الفلسفة المتنكرة للحقيقة المطلقة والمبادئ الثابتة، ورفض هذا الجدال القائم على الحجاج المغالطي. لقد سعى سقراط من خلال جداله مع السوفسطائيين إلى بيان الماهيات الثابتة لمفاهيم الحق والعدالة والحرية والقانون وغيرها في مقابل الدلالات المتغيرة التي يريد أن يعطيها لها السوفسطائيون، وكان عليه أن يبني خطابه الفلسفي على الجدل والمنطق التوليدي، ومن هنا اكتسى الحجاج عند سقراط طابعا عقلانيا منطقيا وجدليا، وقد اعتمد فيه على الاستدلالات العقلية مثل الاستنتاج والاستقراء والمقارنة والمقابلة والحوار، كما استخدم أساليب التهكم والسخرية والتنكيت والإحراج، ففي محاورة هيبياس محاولة لتعريف ماهية الجميل، حيث يقدم هيبياس تعريفات متعددة " فالعذراء الجميلة هي الجمال، والذهب هو الجمال، والحياة الكريمة هي الجمال. يرفض سقراط هذه التعريفات ويقدم هو ذاته تعريفات أخرى منها على الخصوص، الانتظام والتناسق. ألا يعبر الجميل عن الانتظام والتناسق ؟ يفضي هذا التعريف غير المرضي إلى معضلة شخصها سقراط بالقول (يا لطيف. إذن فرصة اكتشاف ما هو الجميل في الحقيقة انسلت من بين أصابعنا وتلاشت...) هيبياس: ما كان علي أن أتصوره أبدا يا سقراط بناء على كلمتي "[27] ولم يهمل سقراط أهمية البلاغة ولكنه جعلها في صالح خدمة الحقيقة.

---

[25] د. جميل الحمداوي : حجاج التغليط عند السوفسطائيين. صحيفة المثقف. العدد: 5274. السبت: 16. 01. 2021

[26] المرجع نفسه.

[27] جاكلين روس: المناهج في الفلسفة. تر: د. عبد العزيز ركح, مركز نماء للبحوث والدراسات. ص: 54.

أما أفلاطون فقد اعتبر ماهية الأشياء الحقيقية في عالم المثل أما الحقائق في عالم الواقع فهي متغيرة، ولهذا تحتاج معرفة الحقيقة إلى استخدام التأمل الفكري وطلب الحكمة المتعالية عن طريق الجدل والحوار " الحوار الذي يلد العقول ويستدعي ذاكرتها لما هو أساسي ، إما عن طريق ممارسة التعارض أو الانقسام أو التحليل الذي يصعد إلى المبادئ ، أو باستخدام تركيبات الأسطورة. أفلاطون في الجملة، أبدع التحليل والتركيب وطرح قبل ديكارت أنها لا تستطيع أن توجد دون الرجوع إلى الفكرة."[28] لكن استخدام الطرق الاستدلالية العقلية في الجدل والحوار وفن الأسطورة لتأكيد فكرة تعالي الحقيقة التي يجب أن ننشدها دائما، جعلت أفلاطون يحط من قيمة الخطابة بسبب توليها عن الحقيقة, يقول محمد العمري: " لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة. "[29]

عند أرسطو: لقد وضع أرسطو الحجاج إلى جانب الخطابة والبلاغة، بينما أقام الخطاب الفلسفي علي البرهان والمنطق، هدا التمييز عند أرسطو يجعل الخطاب الفلسفي معنيا بالحقيقة بينما الخطابة معنية بإقناع الجمهور والتأثير فيه. وتنقسم الخطابة عنده باعتبار الزمن إلي ثلاثة أنواع:

ما يتعلق منها بالماضي مثل الخطابة القضائية التي يدور موضوعها حول حدث قد انقضى زمنه، ويطلب من المحكمين الحكم ببراءة المتهم أو عقوبته.

ما يتعلق منها بالحاضر وهي الخطابة الاستدلالية أو الإثباتية، التي يثبت بموجبها الخطيب واقعة في الحاضر، كخطب التكريم أو الدعوة إلى مشروع معين.

ما يتعلق منها بالمستقبل، كالخطب الاستشارية أو الاحتفالية، فهي " الخطب التي يطلب فيها تقرير قانون، أو إنشاء شيء جديد، فالخطيب حينئذ يحث الناس على عمل لم يحدث بعد."[30]

كما ربط أرسطو الحجاج بالجدل، لأن أشكال الخطاب القضائي والتثبيتي والاستشاري التي حصر فيها الحجاج مسائلها احتمالية خلافية، وبالتالي تتطلب الجدل والحوار والنقاش.

---

[28] Alain Lempereur, Michel Meyer : L'argumentation. Colloque de cerysie. Textes édités par: éditions Mardaga. 1991. P : 39.

[29] محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. عالم الفكر.2000. ص: 61.

[30] أرسطو طاليس: الخطابة. حققه وعلق عليه عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ص، ص: 16، 17.

ما بعد أرسطو: أما بالنسبة لشيشرون Cicéron فقد حاول التوفيق بين السوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وبالتالي التوفيق بين الخطابة والفلسفة. فهو " يحقق رابطا بين الخطابة والفلسفة، تلك هي الفكرة الكبرى التي تهيمن على أعمال شيشرون والتي أعطته معناه وخصوبته معا."[31] وهو يرى أننا " نستطيع تعريف الحجة كوسيلة عقلانية تجعلنا نعطي إيمانا بشيء مشكوك فيه."[32] وبالتالي، فالحجاج موجود في كل خطاب بما فيه الخطاب الفلسفي، وأن غرضه هو استبعاد الشك الذي ينشأ عن عدم فهمنا لقضية ما، فهو ينقلنا من الشك إلى اليقين.

وفي القرون الوسطى الأوربية اتجهت الفلسفة إلى دراسة النصوص الدينية، وأصبح الحجاج منصبا على إثبات وجهة النظر في المسائل اللاهوتية، لا سيما المسائل الخلافية، مثل إثبات وجود الله وعلاقة العقل بالنقل، وبرزت المذاهب الدينية كتعبير عن ذلك الخلاف، فاشتد الصراع والجدل بين الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها من المذاهب المسيحية.

أما في عصر النهضة فقد اتجهت الفلسفة إلى نقد الفكر اللاهوتي وهيمنة الكنيسة على الحياة الفكرية والعلمية، وازدهرت العلوم المادية ونظرياتها، واتخذ الخطاب الفلسفي طابعا عقلانيا وعلميا، وبالتالي اكتسى الحجاج طابعا برهانيا منطقيا مع ديكارت وسبينوزا وليبنتز وطابعا واقعيا تجريبيا مع فرنسيس بيكون ودفيد هيوم وجون لوك، وقد أدى ذلك إلى إهمال الحجاج بوجه عام في الخطاب الفلسفي وفي غيره من أشكال الخطاب في الغرب، و" ذلك بتقديم البلاغة في نهاية القرن التاسع عشر كمجال غير علمي. وبالتالي فقد ألغي من المناهج التعليمية."[33]

ولكن ما هي النتائج المترتبة عن هذا الإهمال للبلاغة في علاقتها بالحجاج ؟

يجيب ميشال ماير على هذا السؤال بالقول أن " الإيتوس والباتوس واللوغوس قد تفرقت، بنفس الكيفية البلاغة انفجرت. الايتوس أعطى ولادة الأخلاق، الباتوس أعطى نظرية في التلقي والحساسية، واللوغوس أعطى منطقا ونحوا أين الإبداع اللاتيني قد وجد تحققه التام.

---

[31] Colloque de cerysie.Textes édités par Alain Lempereur : L'argumentation. P : 37

[32] Ibid, p: 40.

[33] فيليب بروتون، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي. مطابع جامعة الملك عبد العزيز.ط1. 2011 السعودية.ص: 9.

لوغوس البلاغة قد افتقر كثيرا إلى حد أن البلاغة قد قلصت إلى نظرية في أشكال الأسلوب، والحجاج إلى " خطاب في المنهج" أثير الرياضيات."[34]

وهذا التشضي للمفاهيم المرتبطة بالحجاج مثل البلاغة والمنطق والجدل لم يدم طويلا، حيث أعيد الاعتبار لها جميعا في الخطاب من خلال اشتغال شاييم بيرلمان Ch. Perelmen وزميلته أولبرشتز تتيكا Olbrechts Tyteca على البلاغة عند أرسطو، و كان عملهما في الحقيقة محاولة لإحياء أعمال أرسطو في البلاغة والخطابة بشكل خاص، ومن ثم إدراك أهمية الحجاج البلاغي في الخطاب، لكن ربطهما لهذا بالمستلزمات المعرفية والعلمية والثقافية المعاصرة جعلهما ينتهيان إلى نظرية في " البلاغة الجديدة " تستفيد من أرسطو وتضيف إليها أفكارا جديدة أيضا، وتتابع الاهتمام بعد ذلك بالحجاج الفلسفي وتشكلت في الفكر الغربي نظريات كثيرة حول طبيعته وأسسه ووظائفه.

في المقابل، فإن المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي والأموي خلال القرون الوسطى قد ازدهرت فيه الترجمة لكتب اليونان خاصة في الفلسفة، فترجم ابن رشد كتاب الخطابة لأرسطو، وظهرت أهمية الحجاج في مجالات كثيرة أهمها علم الكلام والبلاغة والجدل والمناظرة وغيرها، وبرز في الحجاج أسماء مفكرين وفلاسفة وعلماء كلام وأدباء أمثال ابن رشد والغزالي وابن خلدون والجاحظ والسكاكي وغيرهم، هذا إلى جانب مفكرين عرب ومسلمين معاصرين أمثال طه عبد الرحمان ومحمد العمري ومحمد العزاوي .

أنواع الحجاج الفلسفي:

يتكلم الباحثون عن أنواع متعددة منها:[35]

الحجاج التفسيري: هو تبرير أطروحة عن طريق معلومات الهدف منها هو إفهام الغير وليس إقناعه ويتم بإجراءات متعددة منها: إيضاح المبهم أو الغامض ،إدراج الخاص في العام أو الأعم، الانتقال من العام إلى الخاص ،التكرار ،الاحتراس وهو دفع اعتراض محتمل ،الاعتراض بغرض التنبيه .

الحجاج الاستقرائي: هو الحجاج الذي يقوم على الاستقراء وهو الانتقال من الخاص إلى العام أو من الحالات الجزئية إلى ما يترتب عنها من مبادئ وقواعد عامة ويتم وفق الشروط

[34] Michel Mayer : Qu'est ce que l'argumentation. Vrin, p : 101

[35] مارلين سعيد: الحجاج الفلسفي من التأطير النظري الى التطبيقات الصفية. اشراف الدكتور: سمير زيدان. موقع مدونة كوادرو فيلو. أرشيف 12/يونيو/2008. https://quadrophilo.blogspot.com/2008/06/blog-post_12.html

التالية :الانتقال من مقدمات عبارة عن أمثلة يجمعها الفيلسوف لها علاقة بالموضوع مثل وقائع اجتماعية طبيعية .تاريخية ...اختبار صلاحية كل مثال يعني التساؤل ما إذا كانت هذه الأمثلة واقعية أم لا واضحة أم لا ملائمة للموضوع أو لا، لها معنى أم لا ؟ ملائمة للمخاطب أم لا ؟ التأكد من عدم وجود أمثلة مضادة . الوصول إلى خلاصات و استنتاجات وموقف عام .

الحجاج الاستنتاجي: هو تعبير عن العلاقة بين المقدمات و النتائج الضرورية التي تلزم عنها، أو هو العملية الذهنية التي تجعلك تستخلص نتيجة أو قضية ضرورية من مجموعة قضايا أخرين نسميها مقدمات، فالاستنتاج يقوم على الضرورة المنطقية .

وقد يكون الاستنتاج تحليلي ينتقل من مقدمة مركبة إلى ما يلزم عنها من قضايا جزئية مثل تحليل مفهوم الثقافة ، و قد يكون الاستنتاج تركيبيا ينتقل من الأمثلة الخاصة إلى القوانين العامة فهو نوع من الاستقراء ، تعميم بول ريكور لجدلية الفهم و التفسير من حالات خاصة (النص ، الفعل ، التاريخ) إلى إن أصبح جدلية الفهم و التفسير نظرية في تأويل أي شيء.

الحجاج البلاغي: يقوم على استخدام الشروط اللغوية مثل البلاغة الفصاحة ، السرد، الاستعارة ، المقابلة، الهدف منه استمالة المخاطب و تغيير وجهة نظره إزاء موضوع معين .

الطرق الاستدلالية والبلاغية في الحجاج:

1/ **الطرق الاستدلالية في الحجاج** : يستخدم الخطاب الفلسفي أنواعا من الأساليب الاستدلالية منها: القياس الحملي مثلما هو الحال عند أرسطو ، أو الشرطي أو الاقتراني أو قياس الإحراج.

والبرهان بالخلف أي البرهنة على القضية من خلال افتراض نقيضها فإذا ثبت أن نقيضها كاذب تصبح القضية الأولى صادقة، كذلك المفارقة و الاحراج : حيث يعمد الفيلسوف إلى إثبات أطروحة للمخاطب و إظهارها كحل واحد للمفارقة و التدليل على أن الاطروحة المضادة تحمل مفارقة مثل "مفارقة مانهايم " التي تكلم عنها بول ريكور: يقول مانهايم كل شيء إيديولوجي لكن يمكن تجاوز الأيديولوجيا. بول ريكور يقول الحل أن الأيديولوجيا ظاهرة عامة، وبالتالي لا يمكن تجاوزها نهائيا.

لكن يجب الاعتراف مع مشال ماير أن الطرق الاستدلالية في الخطاب الفلسفي تبقى حججا متكيفة مع ذلك الخطاب، فهي لازالت تستخدم اللغة العادية بدل الرمزية في العلوم الرياضية أو التجريبية، وهي لازالت مرتبطة بطبيعة المتلقي في الواقع وثقافته ووضعه الاجتماعي، ولهذا تسمى عادة بالحجج " شبه المنطقية "، ذلك أن " الحجج شبه المنطقية هي تلك التي نفهمها بتقريبها بالفكر الصوري، في طبيعته المنطقية أو الرياضية، لكن حجة شبه منطقية تختلف عن استنتاج صوري بفعل افتراضها دائما التحاما بأطروحات من طبيعة صورية، والتي تسمح وحدها بتطبيق الحجة "[36]

2/ الطرق البلاغية في الحجاج: من بين أنواع الأساليب البلاغية المستخدمة في الخطاب الفلسفي: ضرب الأمثلة حيث تحول الأفكار المجردة من خلال الأمثلة إلى وقائع تقنع الغير ومنها أيضا المماثلة (التمثيل) و هو الحكم على قضية من خلال الحكم على قضية أخرى تماثلها او تشترك معها في صفات معينة . أما الاستعارة هي شكل من أشكال التشبيه حذفت فيه أداة التشبيه و تحقيق التطابق بين المشبه والمشبه به ، تكتسب الاستعارة في الخطاب الفلسفي أهمية كبرى لأنها تنقلنا من مجال دلالي معين إلى مجال آخر. وكذلك يمكن الحجاج بالاستناد إلى السلطة وهو إقناع الغير بالاستناد إلى حكم سلطة عليا تفرض على المخاطب.

استنتاج : نستنتج مما سبق أن الحجاج الفلسفي يقوم على طرق استدلالية عقلية برهانية مثل الحجاج التفسيري، الاستقراء، الاستنتاج، و طرق أخرى بلاغية هدفها كسب المخاطب مثل الفصاحة، البلاغة، السرد، الاستعارة، ضرب الأمثلة،الاحتكام إلى سلطة عليا.

[36] Michel Mayer : Qu’est ce que l’argumentation. Vrin, p : 98

المحور الثاني : موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي.

المحاضرة 01: الخطاب الفلسفي بين الحجاج والبرهان

تمهيد: هل يمكن تصور خطاب فلسفي دون حجاج ؟ وما علاقته بالبرهان ؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب الوقوف أولا على مفهوم الخطاب الفلسفي، الذي يبدو خطابا متميزا بطابعه الشمولي أو الكوني والعقلاني، وهذا يربطه بالبرهان الذي يستهدف الحقيقة، ويجعل علاقته بالحجاج على الرأي محل شك. الأمر الذي يدعونا إلى تحليل علاقة الخطاب الفلسفي بالبرهان وبالحجاج، وبالتالي توضيح أهمية الحجاج الفلسفي ضمن الخطاب الفلسفي :

خصائص الخطاب الفلسفي:

الخطاب الفلسفي هو الكلام المكتوب و النص الموجه لجمهور عالمي، من حيث أنه يطرح قضايا كلية، وبالتالي فهو يقوم على العقل الكوني، ويستخدم طرق استدلالية أكثر عقلانية. لكن هذا الطابع العام للخطاب الفلسفي لا ينفي تأثره بالسياق الثقافي للفيلسوف وما يحكمه من معتقدات وإيديولوجيات وأفكار، وبطرحه لمسائل خلافية لا ينفصل عن الجدل والحوار والحجاج عن الآراء.

ولذلك يمكن القول مع جابر عصفور أن " الخطاب هو العملية الاجتماعية لصنع المعنى وإعادة إنتاجه، وهو أقرب إلى الكلام بالمعنى الموجود عند دو سوسير، أي اللغة من حيث هي مستخدمة فعليا بواسطة متحدثين، بعيدا عن دلالة اللغة من حيث هي نسق جامد من العلامات "[37] وهذا ينطبق على الخطاب الفلسفي الذي لم يعد خطابا مجردا ومنغلقا على ذاته، بل خطاب منفتح على كل جوانب الحياة العملية.

جدلية الحجاج و البرهان في الخطاب الفلسفي:

الموقف الأول:

هناك من يقول أن الخطاب الفلسفي يقوم على الحجاج، لان الحجاج الفلسفي يختلف عن أي خطاب آخر فهدفه هو البحث عن المعنى و ليس البحث عن الصدق، ويذهب العزاوي إلى أنه لأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال، وأن" الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنتاج

[37] جابر عصفور: آفاق العصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997، القاهرة. ص: 163.

تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب"[38] و هذا يعني أنه يقوم على استراتيجية في الحجاج تختلف عن الأنواع الأخرى :

فهو خطاب شخصي مرتبط بوجهة نظر الفيلسوف في المقابل الخطاب القائم على البرهان موضوعي أي لا يختلف عليه اثنان، وإذا كان الحجاج يقوم على اللغة الطبيعة لأنه يستخدم حججا لغوية مختلفة ومتغيرة في دلالتها، فإن الخطاب القائم على البرهان أو على الاستدلال عادة ما يستخدم لغة رمزية مجردة ويطبق على موضوعات ثابتة. والخطاب الحجاجي يقوم على الإقناع والتأثير في الخصم و توجيهه تقول جاكلين روس " التفلسف في الواقع هو الحجاج ، و كل حجاج ينخرط في عمل البلاغة ، فن التعبير يركز على استراتيجيات الإقناع و صور البلاغة والاستعارة الفنية في حقل الفلسفة التي ينبغي للمتكلم عدم تجاهلها إذا أراد إنشاء موضوع أو شرح درس "[39] بينما يركز الخطاب البرهاني على معيار الصدق والكذب، أي على الحقيقة.

و اذا كان الحجاج الفلسفي ليس آليا حيث يمكن أن تكون مقدماته مضمرة و كذلك نتائجه، فإن البرهان هو إجراء آلي ينتقل من مقدمات إلى نتائج بشكل واضح، ولذلك نجد بعض الفلاسفة مثل الفيلسوف الألماني "دلتاي" يدعونا إلى عدم الخلط بين الفهم الإنساني والفلسفي من جهة، والبرهان العلمي من جهة أخرى، خلال تمييزه بين العلوم الطبيعية التي تتطلب التفسير والعلوم الإنسانية التي تتطلب التأويل و الفهم و التفاهم.

نقد : الحجاج الفلسفي لا يمكن أن يقوم على مجرد الإقناع و ما يتبعه من بلاغة و فصاحة من اجل استمالة الآخرين فهذا يحوله إلى خطاب عاطفي إيديولوجي أكثر. إن الأخذ بهذا الموقف يجعلنا نهمل دور البرهان في الخطاب الفلسفي.

الموقف الثاني:

هناك من يذهب إلى أن الحجاج الفلسفي يقوم على الاستدلال الفلسفي والعقلي، لان الخطاب الفلسفي هدفه توضيح الحقائق وليس خطابا ذاتيا، ومن بين المدارس التي تأخذ بهذه الفكرة المدرسة الوضعية المنطقية تدعوا إلى استخدام المنطق الوضعي والتحليلي من اجل أن تكون الأحكام مطابقة للواقع والمنطق التحليلي (تحليل منطقي) من اجل البحث عن صدق

[38] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج. العمدة في الطبع. ط1، 2006. ص: 14..

[39] جاكلين روس: المناهج في الفلسفة. تر: د. عبد العزيز ركح, مركز نماء للبحوث والدراسات. **ص**: 55

الأفكار المجردة. ومن أنواع البرهان التي يستخدمها الفيلسوف الاستقراء ،الاستنتاج ،المقارنة، المماثلة ، النقد. ويرينا المنهج الديكارتي مثالا على هذا الحجاج الاستنتاجي المطبق على الخطاب الفلسفي

نقد: الخطاب الفلسفي عندما يقوم فيه الحجاج على البرهان والاستدلال فقط فانه يصبح خطابا مجردا وجافا لا يصلح إلا للفلسفات العقلانية والمثالية، وهذا يعني أن هذا الموقف يتجاهل دور الإقناع في الحجاج الفلسفي الذي يتطلب مخاطبة عواطف الغير واستمالتهم إلى وجهة نظر خاصة، حيث تشهد الفلسفات البراغماتية والتأويلية وحتى النقدية المعاصرة على ارتباط الخطاب الفلسفي بسياقه، وبأفعال الناس العملية.

كما أن مفهوم المتلقي العالمي لا يفرض اللجوء إلى البرهان، وبالتالي لا يلغي بالضرورة مفهوم الحجاج، وعلى حد تعبير بيرلمان: " يتشكل مفهوم المتلقي العالمي من قبل كل فرد مما يعرفه عن أقرانه، وذلك بطريقة تتجاوز الاعتراضات القليلة التي يدركها، كذلك كل ثقافة، كل فرد له تصوره الخاص للمتلقي العالمي، ودراسة هذه المتغيرات ستكون مفيدة للغاية، لأنها تجعلنا نعرف ما اعتبره الناس في مجرى التاريخ، كشيء واقعي وحقيقي وموضوعيا صالح."[40]

خلاصة: **إذا كان فهم الحجاج يتطلب تمييزه عن البرهان في العلوم الرياضية، فإن طبيعة الخطاب الفلسفي الكلية الشاملة لا يمكنها إهمال لا الحجاج ولا البرهان، حيث يصطبغان بالطرح الفلسفي، ومما سبق يمكن القول إن الحجاج الفلسفي مفهوم معقد يقوم على الإقناع والفصاحة والبلاغة كما يقوم على البرهان وما يتطلبه من صرامة منطقية واستدلالات عقلية واضحة.**

[40] Pierre Livet : L’argumentation : droit, philosophie, sciences sociales. Les Presses de l’Université Laval. L’Harmaton.2000, Canada P : 27.

المحاضرة02: أهمية الحجاج في الخطاب الفلسفي:

يمكن تناول موقع الحجاج في الخطاب الفلسفي أيضا من خلال تحليل أهمية الحجاج في ذلك الخطاب، ويمكن تحليل هذه الأهمية في العناصر التالية:

1-الأهمية الديداكتيكية(التعلمية):

في " قاموس النحو النقدي وفلسفة اللغة الفرنسية " نجد انفصالا بين مصطلحي الديداكتيك والحجاج، حيث يشرح كلمة ديداكتيك بأنها " فن التدريس"[41] ويجعل الديداكتيك ينطبق فقط على التدريس، ويعترض على رأي كوندياك Condillac الذي يرى أنه " داخل الديداكتيك نطرح الأسئلة ونناقشها "[42] ففي نظر صاحب القاموس أن كوندياك يخلط بين الديداكتيك ومفهوم الحجاج، لأن " مناقشة الأسئلة هو إخضاعها للامتحان، إنها قبول الآراء المتعارضة، الحجج مع أو ضد، وهذا ما يدعى حجاجا."[43] غير أن هذا الاعتراض على كوندياك لا يصح، باعتبار كوندياك كان يفكر في الخطاب الفلسفي الذي يتطلب الحجاج حتى في تدريسه، وبالتالي فإن ارتباط الحجاج بالتدريس أو الديداكتيك هو ارتباط ضروري، فالدرس الفلسفي ليس معطى جاهزا بل يبنى من خلال الجدل والحوار والمناقشة بين الأستاذ وطلبته.

إن كل خطاب فلسفي ينطوي على ثلاث عناصر أساسية متداخلة هي (الصورنة conceptualisation، الأشكلة problématisation المحاجة argumentation) تكمن أهمية الحجاج الفلسفي الديداكتيكية في أنه يعلم الطلبة كل أنواع وأنماط الحجاج الفلسفي و كيفية استخدامها في موقف معين أو دحضه ، أن يراعي الطالب في الحجج عدم التناقض فيما بينها ، كما يجيب أن لا تكون متناقضة مع الموقف الذي تسنده أو تدحضه[44] . أن تكون الحجة عقلية كونية أي مقبولة لدى كل عقل . أن تكون الحجج ضمن استراتيجية عامة . أن تكون مقنعة للمتلقي ضمن ثقافته أو سياقه الثقافي و الاجتماعي .

2-**الأهمية الفلسفية:** نجد الأهمية الفلسفية عند الباحث غرونجيه Gronger الذي درس إشكالية البرهنة في الخطاب الفلسفي انطلاقا من مفهومين أساسين هما :

[41] Victor Augustin: Dictionnaire grammatical critique et philosophie de la langue française. Bibliothéque Municipale de Lyon. 2010. P : 223.
[42] Ibid
[43] Ibid.
[44] د.بيار مالك: الفلسفة وتعليمها. المنهل.2016. ص: 162

أ- **الخطابة الفلسفية:**

الخطابة الفلسفية La rhéthorique philosophique عند غرونجيه تؤثر على المتلقي بطريقة غير مباشرة، و ليس التأثير المباشر الانفعالي مثلما هو الحال في الخطاب الأدبي العام، فالخطابة الفلسفية تتجه نحو العقل وتحمل المتلقي على الإقتناع بأفكارنا وتصوراتنا باستخدام الحجج و تظهر الخطابة الفلسفية عند غرونجيه في حالات ثلاث:

- إثارة التساؤلات واستعمال الحوار و توجيه المتلقي في موقف معين.
- استخدام الفيلسوف للغة العادية مثلا أفلاطون استخدم الأسطورة لإثبات موقفه و ابن طفيل الذي استخدم القصة في الدفاع عن مواقف فلسفية .
- الاعتماد على التراث المشترك واللغة المشتركة في إقناع المتلقي.

ب- **التحليلية:**

التحليلية L'analytique هذا يعني أن الخطاب الفلسفي يقوم على التحليل و البرهان و يفهم غرونجيه التحليل بالمعنى الأرسطي الذي يعني تسلسل القضايا من اجل الوصول إلى معرفة برهانية تتلازم فيها المقدمات مع النتائج، و ميزة هذا التحليل ليست فقط إظهار المواقف و الأفكار بل تنويع الحجج و الأدلة بحيث لا تكون صورية فقط بل واقعية أيضا.

3-**الأهمية اللسانية أو اللغوية:**

بحث أ.ديكروا O.Dicrot الأهمية اللغوية في الحجاج الفلسفي و يحصرها في ثلاث مبادئ :

- الوظيفة الأساسية للغة الحجاج.
- المكون الحجاجي أساسي و المكون الإخباري ثانوي أي الذي يهم في الخطاب الفلسفي الحجاج و كسب المواقف و الأفكار.
- عدم الفصل بين الدلاليات و التداوليات في التعبير عن الأفكار، فعلم الدلالة يهتم بدراسة معنى العلامات و الألفاظ الموضوعية أما التداوليات فهي اتجاه في فلسفة اللغة يربط اللغة بالسياق اللغوي و الثقافي، وهذا يعني أن الحجاج الفلسفي عند ديكروا يهتم بالدلالات الموضوعية للغة و باستعمالها في سياقات معينة، لذلك أكد أهمية الروابط اللغوية في الخطاب كالواو ، الفاء ، أدوات الشرط : إذا ، فان ، إما.

الروابط التداولية مثل : بل ، لكن لاسيما . و تسمح هذه الروابط التداولية بإنشاء روابط جديدة حجاجية هو الربط بين الحجة و النتيجة و الحجة و النقد .

4- الأهمية التواصلية والتداولية:

وفي هذا الصدد أكدت روت أموسي Ruth Amossy أن تلك الأهمية كانت واضحة في أنماط الخطاب منذ القدم، لا سيما عند أرسطو في أنواع الخطاب القضائي والاستشاري والاحتفالي، بل تذهب أموسي إلى القول بأنها تريد أن " تحاجج هنا على أن مفهوم نوع الخطاب المحدد عن طريق تحليل الخطاب (A.D) في حركة بختين Bakhtine لا يسمح فقط بتوسيع حقل الخطابة الكلاسيكية: إنه يؤدي إلى إعادة التفكير في مفهوم الحجاج"[45] وهذا من شأنه أن يعزز مكانة الحجاج في مختلف أشكال الخطاب التي تعرف في العصر الحديث تنوعا غير محدود واختلاف متميز في ما بينها، الأمر الذي يطرح اختلاف حجاجها باختلاف أنماطها ووضعيتها، فليس الخطاب الفلسفي مثل الخطاب الإشهاري أو الخطاب السياسي.

لقد عرف الخطاب الفلسفي في عصرنا ارتباطا واسعا باللسانيات والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وتكشف الطرق الجديدة في التفلسف عن أشكال جديدة في الخطاب الفلسفي تعبر عن فروع عملية جديدة في التفلسف مثل فلسفة الفعل، والفلسفة واليومي، والأخلاقيات التطبيقية...الأمر الذي يفرض على الخطاب الفلسفي أكثر من غيره استخدام أساليب الحجاج الملائمة لطبيعته.

خلاصة: مما سبق نستنتج أن أهمية الحجاج ديداكتيكية و فلسفية و لغوية وتواصلية تداولية في الخطاب الفلسفي لاسيما في العصر الحديث، حيث ترتبط الفلسفة أكثر بالحياة العملية للناس، وتعبر عن مواقفهم المختلفة إزاء مشكلات الحياة، وبالتالي، لا يمكن الاستغناء عن الحجاج في الخطاب الفلسفي

[45] Vahram Atayan, Daniela Parizzini : Argumentation : théorie, langues, discours. Editions Peter Lang. 2009. P :237.

المحور الثالث: نظريات الحجاج الجدلي.

المحاضرة 01: طبيعة العلاقة بين الجدل والحجاج في التاريخ

تمهيد: يحصل في الواقع أن يتخاصم الناس ويتشاجرون، وقد يكون الأمر يتعلق بمجرد محادثات أو إجراء حوارات ومناقشات في قضايا تهمهم، ومن هنا ينشأ مفهوم الجدل من الحياة العملية عندما يجد الناس أنفسهم مختلفين. فما هو الجدل وما علاقته بالحجاج ؟ وما هي النظريات التي تمثل مفهوم الحجاج الجدلي ؟

تعريف الجدل :

لغة: كلمة الجدل في اليونانية مرادفة للوغوس (العقل). وفي اللغة العربية تدل على فن الحوار والمناقشة. وفي القاموس الاشتقاقي الفرنسي تدل أول فكرة عن الجدل على " فن النقاش " و" المناقشة"، و" مسار التفكير."[46]

اصطلاحا : فن الحوار و تبادل الأفكار في موضوع معين بين طرفين أو أكثر ، انه الحوار بين طرفين حول موضوع معين و قد يكون الحوار بين الذات و نفسها monologue.

نبذة تاريخية عن الحجاج الجدلي :

يرتبط الجدل والحجاج بالحياة العملية للناس فكثيرا ما يختلف الناس حول مشكلاتهم ومعتقداتهم الدينية وآرائهم السياسية والاجتماعية، و حتى يتوافقون فإنهم يستخدمون الحجاج من أجل إقناع بعضهم البعض. غير أن الحجاج الجدلي الفلسفي لم يرتفع إلى مستوى قضية فلسفية إلا مع زينون الإيلي والمدرسة الإيلية بشكل عام التي أعطت أهمية كبيرة للحجاج في بناء المواقف ، كذلك وجد الحجاج الجدلي أهمية عند هيرقليطس وديموقريطس و أفلاطون فيما يسميه الجدل الهابط والصاعد، و عرف الحجاج الجدلي أهمية أكبر لدى السوفسطائيين الذين علموا أبناء الأغنياء " فن الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين، وهنا ظهر السوفسطائيون لكي يزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة، واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية "[47] أما أرسطو فقد ربط الحجاج بالجدل، لكنه وضع الجدل في مرتبة ثانية بعد المنطق الصوري، لان الجدل يقوم على مقدمات افتراضية

---

[46] J.Dubois, H.Metterand, A. Dauzat : Dictionnaire étymologique et historique du français. Editions Larousse. 2006. Mot : dialectique.

[47] د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. دراسة. شبكة الألوكة. أرشيف موقع لسان العرب. ص: 10 https://ia801205.us.archive.org/16/items/ghiloufik_gmail_201611/%D.p

تنتهي بالضرورة إلى نتائج احتمالية، ولذا فإن الحجاج الجدلي هدفه الإقناع بينما المنطق الصوري هدفه الحقيقة.

وفي هذا الصدد ينفتح كتاب شاييم بيرلمان الهام" إمبراطورية البلاغة: البلاغة والحجاج– L'empire Rhétorique : La rhétorique et L'argumentation " على القول: إذا كانت الدراسات التي أجراها أرسطو في التحليلات الأولى والثانية قد رفعته إلى مستوى أب المنطق، فإن " المناطقة المحدثين أضاعوا بصيرتهم، لأنهم لم يدركوا أهمية دراسته للبراهين الجدلية في الطوبيقا والبلاغة والتكذيبات السوفسطائية، الأمر الذي يجعل منه أيضا أبا لنظرية الحجاج."[48]

في الحضارة الإسلامية ، عرف الحجاج الجدلي استخدامات واسعة في علم الكلام و أصول الفقه وفي الآداب والأشعار والفلسفة والخطابة, يقول ابن خلدون عن علم الكلام : هو " العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية باستخدام الأدلة العقلية، والرد عن المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة."[49]

و في العصر الحديث عرف الجدل أهمية كبيرة عند هيجل و ماركس و الهرمينوطيقا الفلسفية مع شلايرماخر ودلتاي وريكور، لكن ارتباطه بالحجاج يتفاوت من مدرسة إلى أخرى ومن فيلسوف إلى آخر، بحسب طبيعة التوجهات وتأثير الثقافات والمعارف والخلفيات التي تحكم الخطاب الفلسفي.

من المهم أن نشير هنا إلى الفيلسوف الألماني هيغل في مفهومه للجدل، حيث يرفض أن تكون خطواته مجرد آراء ذاتية منفصلة أو احتمالية ناتجة عن نظرة جزئية، فعلى العكس من ذلك يرى هيغل " أن حقائق الفلسفة لن يكون لها من قيمة، إذا ما صرفنا النظر عن الاعتماد المتبادل والوحدة العضوية في النسق. ولابد في هذه الحالة أن تعالج بوصفها فروضا لا أساس لها، أو أنها مجموعة من القناعات الشخصية "[50] فالجدل الهيغلي نسق فكري وموضوعي منسجم يعبر عن انتقال الفكر من القضية إلى نقيضها إلى التركيب بينهما، من أكثر أشكال الموضوع بساطة إلى أكثرها تعقيدا، ويتضمن مفاهيم السلب والتناقض ومفهوم

---

[48] Chaim Perelman : L'empire Rhétorique : Rhétorique et Argumentation. Vrin. 1997. P : 17.

[49] . د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. شبكة الألوكة. أرشيف موقع لسان العرب. مرجع سابق. ص: 13.

[50] جاكلين روس: المناهج في الفلسفة. ص: 81.

الحركة الفكرية، ولاشك أن ارتباطه بالحجاج يعطي أهمية أكبر للحجج العقلانية والمنطقية التي تؤسس للأطروحات المتناقضة، وتجعل إحداها تتجاوز الأخرى في تركيب جديد.

خلاصة: بما أن الجدل وليد اختلاف الناس في الآراء حول مشكلاتهم العملية، فقد ارتبط منذ البداية مع الحجاج الذي يجعل تلك الآراء مؤسسة ومقنعة، فالجدل والحجاج كلاهما وليدا الحياة العملية. ومن الناحية التاريخية كان الحجاج الجدلي علامة ثابتة في الخطاب الفلسفي منذ بارمنيدس وزينون مرورا بالسفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو الى هيغل وماركس.

المحاضرة:02: بعض نظريات الحجاج الجدلي

تمهيد: اذا كان ارتباط الجدل والحجاج أمر لاشك فيه في الحياة العملية وفي تاريخ الفلسفة، فإن النظرة إلى هذه العلاقة لم تكن واحدة، فقد تكونت نظريات مختلفة حولها عند الفلاسفة واالباحثين...

تعريف نظرية الحجاج الجدلي:

هي النظرية التي تربط بين الجدل من جهة والحجاج من جهة أخرى، بحيث يتم الحجاج ضمن أطر الجدل. ويمكن القول أنها المبحث الذي يتناول القوانين والقواعد العامة بفاعلية الحجاج في السياق الجدلي والحواري، فهي دراسة لقضايا الحجاج في السياق الجدلي في كل مظاهره المختلفة (المحادثة ،الحوار، المناقشة، المناظرة، التحقيق، النقاش البرلماني، المحاكمة القضائية.) وقد ارتبط الحجاج الجدلي بتوجهات الفلاسفة، وبالتالي يمكن الكلام عن أشكال من الحجاج الفلسفي.

أهم نظريات الحجاج الجدلي:

أ- نظرية الحجاج الجدلي عند دوغلاس ولتن :

هو فيلسوف انجليزي يسمي نظريته بالنظرية الجدلية التداولية التي تهتم بتحديد القواعد و المعايير التي يستند إليها الدليل الحجاجي ضمن الحوار أو الجدل. ويعرف " الجدلية التداولية بأنها التي تدرس الدليل الحجاجي داخل سياق حواري ما من اجل معرفة طرائق الاستدلال و البرهنة العقلية"[51]، و يقصد بمصطلح تداولي وجود تواصل وجدل بين الأطراف المتحاورة التي تتحاور فيما بينها مستخدمة الأدلة الحجاجية وتقويمها و نقدها و تمييز الصحيح منها عن الزائف، و الدليل القوي من الدليل الضعيف.

و يصنف دوغلاس الحوار إلى أنواع منها الحوار الذاتي ، التفاوض ، التحقيق ، المداولة ، المناظرة، المناقشة. وتهتم نظريته خاصة بالحوار النقدي، فهي " تقوم بنقد الحجج والأدلة المستعملة في الحوارات الحجاجية الإقناعية، وتهدف الى وضع تيبولوجية أو تصنيف للحوارات"[52] وما يؤكد أن هذه النظرية تداولية أيضا أنها تراعي السياق الذي تستخدم فيه الحجج ضمن أنواع الحوار، و تحدد مراحل الحوار وخطته الإستراتيجية، و في أي نوع من

[51] د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. شبكة الألوكة. أرشيف موقع لسان العرب. مرجع سابق. ص: 19.
[52] المرجع نفسه. ص: 20.

أنواع الحوار يحدد "ولتن " أربع مراحل هي : 1.مرحلة البداية 2. مرحلة المواجهة ،3. مرحلة الحجاج ،4. مرحلة الإنهاء.

وبالنسبة له دائما فان الحجاج في هذه المراحل يخضع لثلاث قواعد عامة :

- أن تكون الحجة موائمة لطبيعة الموضوع و هي قاعدة المواءمة و تتعلق بطبيعة الحجة .
- قواعد التعاون .
- قواعد تقديم المعلومة التي يجب أن تكون صحيحة متسلسلة واضحة منطقية.

هذه القواعد تضمن الحوار المثالي و الإخلال بها يؤدي إلى حجج مغالطة.

ب-**نظرية ف. فون اميرن ور.غروتندورست** : F.Van EEmeren /R. Grootendorst

يؤسس هذان المفكران لنظرية الحجاج الجدلي، و يطلقان على نظريتهما التداولية الجدلية، فهي نظرية " تداولية جدلية تجمع تصور جدل العقلانية الحجاجية بمقاربة تداولية لإجراءات الخطاب الحجاجي "[53] تداولية لان الحجاج يتم في إطار تواصلي يحاول فيه المتحاوران حل صراعهم وعدم اتفاقهم، وهو جدلي لان عملية الإقناع ترتكز على تبادل عقلاني وحواري.

تتأسس هذه النظرية على أفكار واتجاهات فلسفية متعددة أبرزها اتجاهات" العقلانيين النقديين وبعض فلاسفة التحليل أمثال كارل بوبر، هانز ألبير، آرن نائيس، كذلك المناطقة الذين يتناولون منطقا صوريا مثل شارل هامبلان، بول لورنزن، إيلز.م بارت وإريك. س. ف. كراب

يعرفان الحجاج تعريفين مختلفين[54]: تعريف عام بموجبه الحجاج بالنسبة لهما هو نشاط اجتماعي وفكري و تلفظي يهدف إلى الحصول على موافقة المتلقي، وتعريف خاص (تقني) : و هو أنهما يعتبران الحجاج حدثا فعليا أي حدث خطابي أو فعل خطابي مثلما يرى جون سيرل وجون اوستن، يعني الحجاج ليس فقط مجرد كلام بل فعل خطابي مركب لأنه تواصلي و يقع على مستوى مجموعة من الألفاظ و ليس على مستوى لفظ واحد ، و يصنفان الحجاج ثلاثة أنواع[55] :

---

[53] Marianne Doury, Sophie Moirand : L'argumentation aujourd'hui : positions théoriques en confrontation. Presses Sorbonne nouvelle. 2004. P : 45.

[54] فيليب بروتون وجيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج. تر: الدكتور محمد صالح ناجي الغامدي. مركز النشر العلمي. جامعة الملك عبد العزيز. ط1، 2011. ص:94.

[55] المرجع نفسه. ص:95.

- الحجاج القائم على التلازم بين المقدمات و النتيجة مثل الاستنتاج ، القياس الأرسطي هو شكل من أشكال الاستنتاج، أي مقدمات يلزم عنها بالضرورة نتائج.
- الحجاج القائم على التماثل بين المقدمات و النتيجة مثل المقارنة و الاستدلال بالتمثيل ونتائجه احتمالية.
- الحجاج القائم على الأداتية بين المقدمات و النتيجة: الأداة وسيلة مثل مفهوم السببية.

على خلاف دوغلاس ولتن فإن فان إميرن وجروتندورست يريان أن مراحل الحجاج الجدلي أربعة هي[56]:1. المجابهة (قضية و نقيضها وجها لوجه)، 2. البداية (محاولة حل الاختلاف بين الآراء عن طريق النقاش النقدي ، 3.الحجاج (حيث يعمد كل طرف إلى تقديم حججه المختلفة المؤسسة لموقفه) ، 4. الخاتمة (حيث يتم التخلي عن طرح الموقف أو معارضته).

ج- الحجاج الجدلي التأويلي عند ريكور:

استخدم بول ريكور- P.Ricoeur الحجاج الجدلي الذي مكنه من اتخاذ كل أشكال الاستراتيجيات الحجاجية في الدفاع والدحض والإحراج لمختلف التأويلات الفلسفية في عصره، حيث يكشف مساره الفلسفي عن فيلسوف محاور ومستعد للاستفادة من كل تلك التأويلات.

في مجال الحجاج البلاغي الذي يرتبط عنده بالجدل تماما مثل أرسطو، نجد ريكور ينتقد س. بيرلمان الذي يربط البلاغة والحجاج والفلسفة ربطا تتماهى فيه تماهيا يكاد يكون كليا، :" هذا ما أخذ به الأستاذ ش. بيلرمان في كل أعماله، بالنسبة له، الحقول الثلاثة للبلاغة والحجاج والفلسفة الأولى تتقاطع."[57] يحرص ريكور أيضا على التمييز بين البلاغة والخطاب الفلسفي، ففي هذا الأخير نتجاوز الإقناع أو التأثير في الجمهور إلى طلب الحقيقة، بل إن " الفلسفة تتعالى على البلاغة، يتعلق الأمر بعالم أين نكون "صادقين " وغير أنانيين، أين نبحث عن الحقيقة قبل كل شيء."[58]

[56] المرجع نفسه. ص: 95,

[57] Roland Schmetz: L'argumentation selon Perlman: pour une raison au Cœur de la rhétorique. Presses universitaires de Namur, 2000, p : 13

[58] Ibid, p : 14

إن تأكيد ريكور على هذا التمييز بين الخطاب الفلسفي والبلاغة ينبع من ارتباط البلاغة بإثارة العواطف والانفعالات لتوجيه المخاطب والتأثير فيه، تلك الإثارة التي قد تتحول في نظره إلى إغواء، وهو ما يتناقض مع عقلانية الخطاب الفلسفي، مع ذلك فهو يدرك أن الخطاب الفلسفي إذا كان يقول الحقيقة فهو يقولها عن طريق اللغة، وبالتالي يبقى ارتباط ذلك الخطاب بالبلاغة ممكنا. ويعبر ريكور في كتابه " الاستعارة الحية– La métaphore vive " عن هذه المفارقة الماثلة بين الخطاب الفلسفي والبلاغة بقوله: " البلاغة أصبحت عدوه الأكثر قدما وحليفه الأكثر قدما."[59]

إذن الخطاب الفلسفي لا يبرهن فحسب، بل يحاجج أيضا بتوظيف سلطة البلاغة.

إن البلاغة ترتبط عند ريكور بالهرمينوطيقا والجدل، فإذا كان " الخطاب هو وساطة التفكير، فهذا يفسر كيف أن البلاغة والهرمينوطيقا تسيران معا وتربطان علاقة مشتركة مع الجدل."[60] وبشكل عام فقد خصص ريكور بعض مؤلفاته للكتابة حول الاستعارة والسرد والشعرية، حيث في سياق اهتمامه بالرموز التي تحمل على التفكير أقر بالفائض الدلالي للاستعارة، ففهم الاستعارة على مستوى الخطاب " هو امتلاك الدينامية، التي بفضلها عبارة استعارية أو تناسب دلالي جديد يظهر حطام التناسب الدلالي كما يظهر لقراءة حرفية للجملة"[61] وكيف تربط بين النظر والواقع، وطابعها الحجاجي الذي يقرب الفهم من خلال مبدأ المماثلة, واعتبر للسرد في الحكايات التاريخية والخيالية قوة إقناعية وبرهانية ابستمولوجية، فالذي يحكي لك حكاية يريد أن يقنعك بمصداقيتها، وسيتوقف إقناعه لك على مدى براعته في حبكتها وسردها، حتى أنك لا تستطيع التمييز بين حكاية واقعية وأخرى مختلقة، لكن ريكور بقبوله السرد كوسيلة برهانية وحجاجية في تفسير التاريخ لم يفصله عن الإجراءات العلمية الأخرى، وانتهى إلى " إدراج رابطة اشتقاقية غير مباشرة بها العلم التاريخي يصدر عن الفهم السردي دون أن يفقد طموحه العلمي."[62]

لقد وضع ريكور اللغة كوسيط بين الذات وذاتها، وبين الذات والعالم ليشهد على دور الحجاج اللغوي في الخطاب الفلسفي التأويلي بالخصوص، حيث كل تأويل يتطلب الحجاج،

---

[59] Paul Ricœur: La métaphore vive. Seuil, P : 15

[60] عمارة الناصر: الهرمينوطيقا والحجاج. مرجع سابق. ط1، 2014. ص: 12.

[61] Paul Ricœur : Temps et récit,t1, L'intrigue et Le récit historique, éditions de Seuil, p : 11

[62] Ibid,p : 166.

وكل حجاج يتطلب التأويل. لقد كان يقول: " يجب الاعتراف أنه باستثناء هردر Herder فإن فلسفة الذات صرفت النظر عن الوساطة اللغوية التي تقوم بنقل طابعها الحجاجي حول مقولة أنا موجود أنا أفكر"[63] وبخلاف فلاسفة الكوجيطو المعتد بنفسه الذين يختزلون الحقيقة في شفافية الذات مع ذاتها، تبنى الهرمينوطيقا الفلسفية لريكور على فلسفة في الذات لا تتعرف فيها الذات على نفسها إلا بطريقة غير مباشرة عن طريق الوسائط اللغوية، كالرموز والنصوص والتاريخ وتعبيرات الأفعال الإنسانية والثقافات بشكل عام، فيما يدعوه هرمينوطيقا المنعطف الطويل.

إن الذات مدعوة إلى أن تحاجج على ذاتها في إثباتها لهويتها، تماما مثلما هي مدعوة للحجاج على مواقفها أمام الآخرين وهذا هو موضوع كتابه " الذات عينها كآخر– Soi même comme un Autre "، حيث يظهر الحجاج اللغوي في التحليل اللغوي للذات، وفي ترتيب سلسلة الحجج فيما يشبه السلم الحجاجي لدى أوزوالد ديكرو O.Ducrot و ج. س.أونسكومبر J.S.Anscomber انطلاقا من المفهوم الأرسطي للهوية إلى المفهوم العقلاني إلى المفهوم السردي قبل أن يعود إلى المفهوم الأنطولوجي أين يجب أن تثق الذات بهويتها الذاتية وتحاجج على مصداقيتها أمام نفسها، لأن الفهم غير المباشر للذات لا يكتسي طابع الإطلاق، فلازال " الكوجيطو مجروحا " حتى في فهمه لنفسه عن طريق الوسائط اللغوية، الأمر الذي جعل ريكور يبحث عن أساس لوثوق الذات بذاتها فوجده في الإقرار. " الإقرار كتصديق ووثوق بالذات كان موجها لعمل توسط بين الطموح في الوثوق المؤسس ذاتيا المنحدر عن الكوجيطو الديكارتي وإذلال الكوجيطو المختزل في الوهم بعد النقد النيتشوي "[64] والذي يهم في هذا الإقرار هو أنه مفهوم حجاجي يبني فهم الذات لنفسها على شواهد وبراهين.

ربط ريكور لمفهوم النص باللسانيات التداولية وفلسفة التحليل وبالفلسفة النقدية عند هابرماس، حيث مجال النصوص هو المجال التحاوري والتواصلي، ولكن أيضا مجال صراع التأويلات الفلسفية والأخلاقية والسياسية والايديولوجية، فإننا نجده يفضل استخدام مفهوم " أخلاق الحجاج " بدل مفاهيم " أخلاق المناقشة " عند هابرماس. يشير مصطلح أخلاق

[63] عمارة الناصر: الهرمينوطيقا والحجاج. مرجع سابق. 2014. ص: 12.
[64] Paul Ricœur : Soi même comme un autre. Editions du Seuil, 1990, p : 334.

الحجاج إلى أن من يفوز في أشكال الصراع المختلفة في المجتمع هو صاحب الحجة الأقوى، كما يهدف إلى تكييف ما هو عالمي مع ما هو سياقي محلي، ويجعل ما هو متفق عليه قابلا لأن يكون محل قناعة أو رفض. " ما يجب وضعه محل تساؤل هو العداء بين الحجاج والاتفاق convention واستبداله بجدل دقيق بين الحجاج والقناعة، التي ليس لها مخرجا نظريا، بل مخرج عملي لتحكيم الأحكام الأخلاقية المرتبطة بالوضعية."[65]

ما ينطبق على الأخلاق ينطبق على القانون والسياسة والإيديولوجيا ومجال حياة الأسرة، و قصص الحياة، حيث الصراع بين التأويلات المختلفة، وحيث الخطاب في هذه المجالات يحتاج إلى الحجاج، الذي يعمل انطلاقا من قدرته الحجاجية على نقد الآراء وإبراز قوتها في الإقناع وحل الإشكاليات المطروحة " لأن الحجاج لا يطرح فقط كعدو للتقليد والاتفاق بل كدعوى نقدية منجزة داخل القناعة التي من مهمتها ليس الاستبعاد، بل الارتقاء إلى صف " القناعات الأحسن وزنا.""[66]

في تحليل ريكور لعلاقة الايديولوجيا بالسلطة يتكلم عن جدل الادعاء والقناعة حيث تجعل السلطة الحجاج وبلاغة الخطاب من الأسس التي تقنع الجماهير بخطاب السلطة الايديولوجي والسياسي، ويتعرض ذلك الجدل للخلل كلما فقد الخطاب بلاغته وحجيته، بحيث تعزف الجماهير عن خطاب السلطة و تحدث أزمة الثقة بينهما. ومهمة الخطاب الإيديولوجي أو السياسي هي سد هذه الفجوة، ولذلك يحتاجان إلى إعادة بناء حتى يقنع الجماهير من جديد. " لأن الخطاب السياسي ليس علما، لكن في الأفضل خطاب مستقيم، يتميز كذلك عن الابستمي (المعرفي) الذي يعتمد على أدلة علمية."[67] و في الحقيقة يتبع ريكور في هذا الجانب العملي التفاعلي أرسطو الذي يؤسس الخطاب على البلاغة والحجاج، لأنه خطاب يقوم على الاحتمال ويتطلب الإقناع ويستخدم أكثر اللغة العادية.

يرتكز خطاب التأويل عند ريكور على نسق اللغة العادية الطبيعية المفتوحة على دلالات الواقع، متبعا في ذلك بنفينيست ومدرسة التحليل الأنجلوسكسونية مع فيتجنشتين، وهذا يعني أن النظرة السيميائية الابستمولوجية المنغلقة للخطاب ليست إلا لحظة منهجية ونقدية، تعقبها النظرة الدلالية والوظيفية، حيث ينفتح الخطاب على الواقع، ويحتاج بالتالي، إلى ما

[65] Ibid. p : 334.
[66] Ibid, p: 335
[67] Olivier Mongin: Paul Ricoeur, p: 108

يسميه الأستاذ عمارة ناصر بالحجاجية حيث" لم يعد الحجاج تنظيما لسلسلة الحجج التي تقود إلى خطاب مقنع فقط، بل أصبح فنا للتفكير، وطريقة في الفهم فيما ندعوه بـ"الحجاجية " بوصفه مفهوما دافعا للفكر وليس مجرد توصيف لاحق له."[68] يتبين مما سبق أن الخطاب الفلسفي عند ريكور مبني على لغة الحجاج، وأنه استفاد أكثر من بعض نظريات الحجاج المعاصرة والكلاسيكية، لاسيما عند أرسطو في البلاغة ونظرية البلاغة الجديدة عند س. بيرلمان، ونظرية الحجاج اللغوي مع ديكرو، ونظرية أفعال الكلام مع أوستن وسيرل، حيث الكلام يساوي الفعل في المجال التداولي.

خلاصة:

يتبين مما سبق أن علاقة الجدل بالحجاج هي علاقة عملية قبل أن تنتظم في أشكال مختلفة من الخطاب، وحيث نشأ الحجاج الجدلي كحاجة لمعالجة المشكلات العملية، ولكن التنظير لهذه العملية في الخطاب الفلسفي اتخذت أشكالا مختلفة في الزمن القديم والمعاصر، حيث قدمنا نماذج فلسفية معاصرة.

[68] عمارة الناصر: الهرمينوطيقا والحجاج. مرجع سابق. ص: 5.

المحور الرابع: نظرية الحجاج البلاغي عند أرسطو.

المحاضرة 01: مفهوم أرسطو للحجاج البلاغي

تمهيد:

تعرضت البلاغة في القرن 19 إلى الإهمال التام في التعليم الأوربي عامة، بدعوى أنها ليست علما، بعدما كان لها ذلك الصيت الكبير في التاريخ، خاصة مع السوفسطائيين وأرسطو وشيشرون، ولم يكتشف طابعها الحجاجي في الغرب إلا مع هؤلاء قديما، أما في عصرنا فقد أعيد الاعتبار للبلاغة مع شاييم بيرلمان وزميلته أولبرشت تتيكا، وبالتالي ، فإن مهمتنا في تحليل هذا المحور هي التساؤل عن علاقة البلاغة بالحجاج في ما يسميه أرسطو الحجاج البلاغي، ثم ما هو الأثر الذي تركه الحجاج البلاغي الأرسطي لدى المفكرين المعاصرين؟

تعريف البلاغة :

يعرف أرسطو الخطابة أو البلاغة بقوله " فالريطورية (الخطابة) قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة، والخطابة يجتهد الخطيب من خلالها لكي يقنع المتلقي للخطاب في جميع المجالات "[69] ، فهي فن من الفنون الأدبية التي تعتمد على الحجج البلاغية لإقناع الخصوم والتأثير فيهم، ويرى أرسطو أن " البلاغة تكمن في ملكة اكتشاف كل الوسائل الممكنة لفعل الاعتقاد حول أي شيء مهما كان" [70] هذا التعريف يجعل من البلاغة قدرة مفتوحة على كل الوسائل التي تحقق الإقناع، فهي تنفتح على كل الفنون اللغوية التي تهتم بفصاحة الخطاب وأسلوبه و بإقناع الخصم أو المتلقي. إن عبارة (لفعل الاعتقاد) " تعبير غامض يحتضن كل وسائل الإقناع، العاطفة كما الدليل كذلك: في الواقع، أرسطو عرف ككل البلاغيين أن هذه الوسائل ثلاثة أنواع: الحجج، الأعراف، العواطف."[71]

لكن إذا كان أرسطو يحصر البلاغة في الخطاب الاستشاري السياسي و القضائي والاستدلالي، فإن كريستيان بورنتان يرى أن البلاغة قد توسع مجالها من مجال الخطاب

---

[69] ابن رشد: تلخيص الخطابة. مرجع سابق. ص: 15؟

[70] Ernest Havet : De la Rhétorique d'Aristote.DE L'imprimerie de Crapelet, 1843. Paris. p : 34,

[71] Ibid, p : 35.

الوعظي الديني مع ظهور المسيحية والخطاب الرسائلي في القرون الوسطى وصولا إلى الإعلان التجاري و الإعلان الاشهاري في العصر الحديث مما جعلها مطلوبة في أي نوع من أنواع الخطاب، حيث توسعت لكل خطاب بما فيه الخطاب الفلسفي الذي كان يظن أرسطو أنه لا يحتاج إلى البلاغة.

ميلاد الحجاج البلاغي:

يعود ظهور النظريات الأولى للحجاج البلاغي إلى مابين 440-450 ق.م ، وذلك في الفترة اليونانية الأولى حيث ظهر اسمان أسسا للحجاج البلاغي هما كوراكس و تلميذه بتسياز" فقد قدم لنا كوراكس الأجزاء الأربعة للخطاب البلاغي و هي : - الاستهلال (افتتاح) : غرضه إثارة المتلقي و استرعاء انتباهه و الجزء الثاني للخطاب عرض القضية أو الحدث أو الموقف الذي يريد أن يقوله صاحب الخطاب الجزء الثالث : المناقشة التي تتضمن تقديم الحجج الداعمة للقضية أو الموقف ، الجزء الرابع الخاتمة : ينتهي إلى خلاصة تلخص موقفه.

إن هذه الأجزاء الأربعة " أصبحت بعد كوراكس أحد المعايير الرئيسة في الخطاب البلاغي، ويمكن بصفة عامة القول إلى أنها لازالت إلى اليوم تمثل معيارا عاما في الكلام الشفهي أو في الكتابة التي يراد منها الدفاع عن رأي ما."[72] هذا النوع الأول من الخطابة كان يعتمد في الخطاب القضائي ثم توسع إلى الخطاب السياسي مع السفسطائيين الذين اهتموا بكيفية الدفاع عن الآراء باستخدام البلاغة، حيث يرى غورغياس أن الخطاب يجب أن يكون ذا أثر دقيق وموزون، و يحمل صيغ شعرية ذات نهايات جيدة ، فالخطاب عنده يتجه إلى الأحاسيس والمشاعر، و هذا جعل ترازيماك السفسطائي يضع كتاب بعنوان " تحريك العواطف " .

لقد اتجه السفسطائيون بالحجاج البلاغي اتجاها عمليا ، حيث كانوا يعلمون تلاميذهم كيفية الجدل و النقاش والدفاع عن الآراء باستخدام البلاغة، و قد تعرض السفسطائيون للنقد السقراطي الذي يرفض استخدام البلاغة لأغراض شخصية و مادية على حساب الحقيقة ، و مع ذلك فان سقراط لم يرفض البلاغة لكنه عارض توسيع دائرة استخدامها من جهة و ربطها

[72] فيليب بروتييه، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي. مركز النشر العلمي. جامعة الملك عبد العزيز. ط1، 2011، ص: 21.

بمناهج البحث عن الحقيقة من جهة أخرى ، و كان يعرف البلاغة بأنها " امتلاك التأثير على الأنفس"[73] و يعرض سقراط منهجية في الخطاب البلاغي تسمى بالطريقة الجدلية و تقوم على ثلاثة قواعد هي : التركيب و هو القدرة على تجميع العناصر المشتتة في كل الجهات صوب موقف أو هدف معين. التقسيم و هو تحليل الكل إلى عناصره بإتباع ترابطها الطبيعي، و أخير إكمال هذا المنهج من خلال المعرفة بالجمهور المراد إقناعه.

الحجاج البلاغي عند ارسطو: يتميز أرسطو بفكره الموسوعي الذي جعله يهتم بكل أنواع الخطاب و الفنون و العلوم في عصره ، ومن بين هذه الفنون اهتم أرسطو بالبلاغة باعتبارها فنا أدبيا، ونقلها من التصور الجمالي إلى التصور العقلي والمنطقي أي انه نقلها من المحسنات البديعية و الصور البيانية والحجاج المغالطي و طابع الشعرية إلى استخدام المنطق العقلي، وأعطى للبلاغة وظيفتين هما التأثير والإقناع، حيث يتوجه كلاهما إلى الجمهور قصد توجيهه أو إقناعه إيجابيا أو سلبيا ، يقول أرسطو " يحصل الإقناع حين يهيأ المستمعون و يستميلهم القول الخطابي حيث يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر أحكاما على نحو واحد، بل حسب ما نحس باللذة و الألم و الحب والكراهية ... و الخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح و الراجع من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع."[74] فوقوع التأثير في المتلقي أو إقناعه بوجهة النظر أو الرسالة التي يتضمنها الخطاب البلاغي يبقى بالنسبة لأرسطو مجرد احتمال مرجح، وهذا ما جعله يربط منذ البداية البلاغة أو الخطابة بالجدل الذي يقوم –عكس القياس المنطقي– على مقدمات افتراضية مستوحاة من العادات والأعراف والثقافة التي يعيش تحت تأثيرها الناس، وتنتهي بالتالي إلى نتائج احتمالية لا يمكن للخطيب أن يعرف مدى عمق تأثيرها وإقناعها مسبقا، بل يذهب أرسطو إلى أن " صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل، ذلك أن كلاهما يؤمان غاية واحدة: وهي المخاطبة، اذ كانت هاتان الصناعتان ليس يستعملهما الإنسان بينه وبين نفسه، بل يستعملهما مع الغير "[75] فالبلاغة والجدل يؤسسان لرأي المخاطب حجاجيا ويحققان الإقناع والتأثير في الخصوم.

---

73 فيليب بروتييه، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج. 2011، ص: 25.
74 د/ جميل الحمداوي: نظريات الحجاج. مرجع سابق. ص: 23
75 ابن رشد : تلخيص الخطابة. مرجع سبق ذكره. ص: 2.

إن البلاغة فن خطابي بامتياز تستخدم أدوات حجاجية استدلالية منطقية لإقناع المتلقي ذهنيا ووجدانيا والمساهمة في تحقيق الإقناع في الحجاج مرتبط باللوغوس من خلال الإثبات أي من خلال الحجج النصية وبالطبع الأخلاقي للخطيب الإيتوس وباستعدادات السامع الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب وانفعالاته[76]: ما يتعلق باللوغوس هو الكلام و الحجج و الأدلة العقلية و يظهر هذا واضحا في نص الرسالة، أما الإيتوس فيتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية و الفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب، وأما الباطوس فيتعلق بالمخاطب (المتلقي) أي معرفة أهوائه و توجهاته واعتقاداته وثقافته و من ثم التأثير عليه. " ولما كانت الأدلة تختص بهذه الوسائل كان استعمالها يفترض أولا على وجه ظاهر، الاستعداد للاستدلال القياسي، والمعرفة النظرية بطبائع البشر، وثانيا معرفة الأخلاق والفضائل، وثالثا معرفة الانفعالات وذلك بأن نعرف طبيعة كل انفعال عند المستمعين."[77]

ميز ارسطو بين ثلاث أنواع من الخطابات البلاغية[78]: هي الخطاب القضائي ، الاستشاري ، البرهاني ، الأول يهدف إلى معرفة الحقيقة من اجل تحقيق العدالة و يراعي التجربة الماضية و القياس المنطقي، الثاني الخطاب الاستشاري يستخدم في المجال السياسي و هدفه تحقيق المصلحة العامة و يراعي مستلزمات الحاضر كأسلوب حجاجي و يستعين بالأمثلة ، الثالث الخطاب البرهاني أو الاستدلالي و هو خطاب يقوم بمدح الآخر أو ذمه، و هدفه الدفاع عن القيم الجمالية و الأخلاقية العليا و يستخدم جميع الأزمنة حاضر ماضي، مستقبل ويتضمن أسلوب المبالغة و التضخيم. ولقد اعتمد أرسطو الحجج البلاغية وأسهب في تحليلها وتصنيفها حيث يصنفها إلى حجج صناعية وأخرى غير صناعية: " فمنها ما هي صناعية وتلك التي هي وجودها لاختيارنا ولرويتنا ونحن الفاعلون لها، ومنها ما هي غير صناعية، وهي التي ليس وجودها لاختيارنا ورويتنا"[79]:

الحجج الصناعية: هي الحجج التي يصنعها الناس أنفسهم بإرادتهم أثناء الخطاب والجدل، وقد ميز أرسطو فيها بين من صنعها غيرنا ومن نصنعها نحن، أما الحجج التي نصنعها بإرادتنا فهي ثلاثة أنواع:[80] حجج تتعلق بموقع الخطيب المتكلم ومكانته مثل ما يظهر عليه

---

76 د/جميل حمداوي. ص، ص: 23/ 24

77 المرجع نفسه. ص: 23

78 المرجع نفسه. ص: 24.

7979 ابن رشد: تلخيص الخطابة. ص: 7.

80 المرجع نفسه. ص: 8.

من وقار وحكمة أثناء الخطاب، وحجج تتعلق بالسامع الذي يظهر عليه الانفعال بمضمون الخطاب الذي يسمع فيصدقه، وحجج تتعلق بقول الخطاب أو مضمونه.

فهذه الحجج الأخيرة يسميها أرسطو الأقاويل المثبتة والمبطلة وتتضمن الاستقراء والقياس والمثال والضمير، والضمير هو شكل من القياس الخطابي وهما " يشتركان في أن كليهما قول يوضع فيه شيء فيلزم عنه قول آخر" [81] كالقول فلان يدور بالليل فهو لص. أو أن شراب البرتقال نافع لفلان لأنه محموم.

الحجج غير الصناعية: ويمكن أن نعدها حججا موضوعية لا دخل للخطيب في صناعتها أو إبداعها ومنها: القياس المضمر ويظهر في أشكال مثل التضاد حيث بأضدادها تعرف الأشياء. مثال ذلك عند أرسطو قوله: اذا كانت الحرب سبب الشرور الحاضرة فبالسلم يجب اصلاحها. ويظهر في علاقة الأقل بالأكثر، فمن يضرب والديه يضرب أقاربه. المحاجة بالزمن أي اعتبارات الزمن في الماضي والحاضر. التعريف بالكلمات ينتج الحجة. تقسيم الموضوع إلى أجزاء. التفسير بالعلة أو السبب. الشاهد والشهادة، القول بالعقود، المثل التاريخي أو الخرافي، السنن...

[81] المرجع نفسه. ص.: 9.

المحاضرة02: أثر الحجاج البلاغي الأرسطي المعاصر.

تمهيد: لقي مفهوم ارسطو للحجاج البلاغي تأثيرا واسعا على الفلسفة المعاصرة سواء في الفلسفة الأوروبية او الأنجلوسكسونية، حيث أصبح الخطاب أي خطاب يرتبط أكثر بالواقع، ولذا من المهم أن نذكر بأهم الرروررواد المتأثرين بأرسطو في هذا المجال.

موقع نظرية أرسطو في الحجاج البلاغي المعاصر:

جرت محاولات كثيرة في عصرنا لإحياء البلاغة، غير أن هذا الإحياء والتجديد ظهر في نظريات كثيرة اتجهت بالبلاغة اتجاهات مختلفة منها الاتجاه اللساني مع رولان بارت واوزوالد ديكرو، والاتجاه الأسلوبي الذي نشأ ضمن المدرسة الشكلانية الروسية البنيوية، ثم ما لبث أن تأثر بمختلف المدارس اللسانية بما فيها التداولية، والاتجاه التداولي الذي يعتبر البلاغة أفعال كلامية واستلزام حواري، وأخيرا الاتجاه الحجاجي الذي ركز أكثر على الطابع الحجاجي للبلاغة.

النظرية الجديدة في الحجاج البلاغي : أسس لهذه النظرية كثير من المعاصرين منهم رجل القانون التشيكي شايم برلمان و اللسانية البلجيكية لويس تيتيكا، وتبلورت هذه النظرية لدى ستيفان كورمان في كتابه "استعمالات الدليل أو الحجة"، و شارل هامبلان في كتابه " الأوهام " ويمكن أن نميز بين نوعين من الحجاج[82] لدى أتباع أرسطو في اللغة :

حجاج عادي : يستخدم آليات و تقنيات بلاغية و منطقية أي مجمل الاستراتجيات التي يستخدمها المتكلم لإقناع مخاطبه في عملية الإفهام و الإقناع، و قد اهتم بهذا النوع من الحجاج برلمان وتتيكا في كتابهما "البلاغة الجديدة " حيث ركزا أساسا على القصد و المقام.

حجاج تقني: مبني على تصور تقني للحجاج يعتبر كل الخطابات المختلفة التي تستخدم لسانا طبيعيا هي خطابات حجاجية بدرجات مختلفة .

لقد ربط كل من بيرلمان وتتيكا البلاغة بالإقناع والحجاج على غرار أرسطو، ولكن عنايتهما بالقصد والمقام جعلهما يركزان أكثر على المخاطب ومقامه وطرق التأثير عليه في حال الخطابة، والأخذ بعين الاعتبار ارتباط البلاغة بالسلطة والايديولوجيا والامتيازات الاجتماعية[83] وقد وسعا البلاغة إلى أشكال أخرى من الخطاب غير التي عرفها أرسطو مثل

[82] د/ جميل الحمداوي: نظريات الحجاج. مرجع سابق. ص: 25.

[83] المرجع نفسه. ص: 26.

الخطاب الاشهاري والخطاب الفلسفي، حيث البلاغة والجدل والفلسفة تتقاطع عند بيرلمان كما يرى بول ريكور[84] وقد خلص بيرلمان الخطاب البلاغي من كل تضليل أو أوهام أو تحايل أو عنف، وربطه أكثر بالحياة الديموقراطية الأوروبية المعاصرة حيث احترام الرأي أمر أساسي، فالحجاج لا يهدف إلى فرض رأي المخاطب على المتلقي، بل يستهدف الإقناع والتأثير فيه.

خلاصة: مما سبق نستنتج أنه إذا كان الحجاج البلاغي الكلاسيكي عند السفسطائيين يقوم على الجدل والسفسطة، وعند سقراط و أفلاطون وأرسطو على الحوار والاستدلال العقلي وطلب الحقيقة، فإن الحجاج البلاغي الحديث اهتم بالمقصدية الحجاجية مثل ارتباط الخطاب بالسلطة و الأيديولوجيا و الامتيازات الاجتماعية. وهكذا تمت استعادة قيمة البلاغة في العصر الحديث كبنية خطابية وحجاجية لها دورها الفعال في كل أشكال الخطاب المعاصر.

[84] Roland Schmetz: L'argumentation selon Perlman: op cit, 2000, p : 13

المحورالخامس: الحجاج اللغوي اللساني:

المحاضرة01: طبيعة الحجاج اللغوي أو اللساني عند ديكرو وأونسكومبر:

تمهيد: التساؤل عن الطابع الحجاجي للغة تأسس على يد (اوزفالد ديكرو وانسكومبر O.Ducrot/ Anscombre) في العصر الحديث، في الوقت الذي كانت اللسانيات تركز على الطابع التواصلي والإخباري للغة، فاللغة عند ديكرو ليست تواصلية فقط بل وظيفتها الإقناع والتأثير أيضا، وشرع يبحث في ما يجعلها كذلك، ولذلك فالإشكالية المحورية التي تطرح نفسها هي: هل يمكن أن نعتبر مع ديكرو أن الوظيفة الأساسية للغة وظيفة حجاجية ؟

أسس نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر:

ركز ديكرو وأونسكومبر في نظريتهما على بنية اللغة مستقلة عن السياق، و هذا يعني أن القوة الحجاجية للغة لا تكمن علاقتها بالواقع فقط بل تكمن في بنيتها الداخلية، و هذا يعني انه متأثر بنظرية دوسوسير في اللغة ، الذي يرى أن اللغة بنية مستقلة عن الواقع .

إن التركيز على بنية اللغة معناه البحث عن الجمل و الأقوال في كل نواحي اللغة الصوتية والتركيبية و الصرفية و الدلالية ، يقول ديكرو:" تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب و المتحكمة في تسلسل الأقوال و تتابعها بشكل متناهي و تدريجي، و بعبارة أخرى يتمثل الحجاج في تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب."[85]

غير أن صاحبي هذه النظرية لم يكتفيا بتأسيسها على البنية الداخلية للغة، بل عمدا إلى نظرية أفعال الكلام عند " اوستن وسيرل " ، حيث اللغة هي أفعال كلامية مرتبطة بالسياق والاستعمال من قبل حامليها، و هذا ما جعل ديكور يدرس علاقة اللغة بالسياق و بالظروف المحيطة، ويترتب على هذا الأساس أن نظريتهما في الحجاج تدمج بين جانبين حجاجية اللغة داخليا وخارجيا أي في بنيتها واستعمالها، وهذا ما يسمى في العصر الحديث بالتداولية المدمجة.

مفهوم التداولية المدمجة: التداولية المدمجة هي تيار لساني يرفض الفصل بين بنية اللغة الداخلية والجانب التداولي والتواصلي، فهي " تتعارض مع التيار المنطقي القائم على

[85] د/ جميل الحمداوي: نظريات الحجاج. مرجع سابق. ص: 33.

التصور الخطي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول."[86] فإذا كان التركيب يعنى بقواعد النحو، وعلم الدلالة يعنى بمعاني العلامات والعلاقات بينها لتحديد الصدق فيها، فإن التداول يعنى باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدى مناسبتها للمقام أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي المتحقق. [87] و منه فان الحجاج اللغوي عند ديكرو وانسكومبر يندرج ضمن النظريات الدلالية و اللسانية الحديثة التي ترى أن الإقناع لا يتوقف فقط على الصدق كما هو الحال في المنطق ، بل يتوقف على قدرة اللغة الحجاجية، و أن اللغة إلى جانب وظيفتها التواصلية فإنها تقوم بوظيفة حجاجية.

الحجاج عند ديكرو:

لاشك أن نظرية ديكرو في الحجاج اللغوي هي نظرية لسانية، أي تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وهي تنطلق من الفكرة الشائعة: " إننا نتكلم قصد التأثير"[88] ولتحقيق هذا التأثير والاقتناع يستخدم الحجاج، ولتحديد مفهوم الحجاج يميزه عن البرهان، فإذا أخذنا المثالين التاليين:

كل اللغويين علماء زيد لغوي إذن زيد عالم	انخفض ميزان الحرارة إذن سينزل المطر

فالمثال الأول عبارة عن قياس منطقي حملي معروف عند أرسطو، وأما المثال الثاني فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني[89] في الأول تلزم النتيجة لزوما ضروريا عن المقدمات، وفي الثاني قد لا تلزم، الصدق في الأول يقيني، بينما الصدق في الثاني احتمالي. وحقل المثال الأول هو المنطق، بينما حقل المثال الثاني هو الخطاب، وإذا كان المثال الأول يتأسس صدقه على الفكر فإن الثاني يتأسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.[90]

وهذا التمييز بين الحجاج والبرهان جعله يستنتج : أن الحجاج اللغوي هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.

---

[86] شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية. كلية الآداب. تونس. ص: 353

[87] المرجع نفسه. ص: 353.

[88] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج. العمدة في الطبع. ط1، 2006. ص: 15.

[89] المرجع نفسه. ص: 14.

[90] جون لانكشون: أوستن. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام. تر: عبد القادر قينيني

وكون اللغة حجاجية فهذا معناه أن التسلسلات الخطابية ليست فقط محددة بالوقائع التي تعبر عنها، بل هي محددة أيضا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها.[91] هذا يعني أن النظرية الحجاجية في اللغة تعني بالوسائل الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية مع دراسة الأهداف التي تحققها ورصد تأثيرها على المجتمع.

[91] محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. عالم الفكر. 2000، ص: 65.

المحاضرة02: طبيعة الحجاج عند ديكرو وأساليبه اللغوية:

تمهيد: متابعة للحجاج اللغوي عند ديكرو نركز في هذه المحاضرة على طبيعة الحجاج اللغوي، وبعض مظاهر الحجاج اللغوي كما يتصورها.

طبيعة الحجاج اللغوي: يمكن حصر الخصائص التي تميز الحجاج عند ديكرو في التسلسل والتلازم بين الأقوال الخطابية، وخضوعها للسياق التداولي، النسبية، والقابلية للإبطال. فمثلا: أنا متعب، إذن أنا بحاجة الى الراحة/ الجو جميل، إذن لنذهب إلى النزهة/ الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع. عليك أن تجتهد لتنجح... فكل هذه الأمثلة تتضمن تسلسلا للأقوال وتلازما بين ما نعتبره مقدمة أو مقدمات ونتيجتها، والعلاقة الحجاجية هي العلاقة بين المقدمات والنتيجة، ومدلول هذه الأقوال ومعناها مرتبط بالسياق، أي لا تصير حجة إلا بفعل السياق، وهي باعتبارها حججا توجه إلى خصم، فيمكن أن يعترض عليها بحجج أقوى، وبالتالي فالحجج قد تكون قوية أو ضعيفة، وبالتالي يمكن إبطالها في حالة الضعف.

1-نظرية السلالم الحجاجية:

الحجاج اللغوي عند ديكرو يعرض نفسه في شكل سلم يبدأ من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى، و ينتهي إلى إثبات أو نفي نتيجة معينة، ويعرفه ديكرو كنظام للحجج قائما على معيار التفاوت في درجات القوة في مقدماته، مما يدل على انه حجاج (متسلسل ، متدرج ، نسبي، مرن، سياقي) بخلاف البرهان المنطقي الذي هو مطلق و حتمي.

مثال: محمد له شهادة البكالوريا/ محمد له شهادة ماستر/ محمد له شهادة الدكتوراه

هذا يترتب عنه نتيجة ضمنية هي : أن لمحمد كفاءة علمية.

ويقوم السلم الحجاجي على ثلاثة قوانين:

- قانون النفي: مثل قولنا ليس محمد مجتهد، فهو لم ينجح.
- قانون القلب: كقولنا لم يحصل محمد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماستر.
- قانون الخفض أو الدونية: امتحان البكالوريا ليس صعبا، لكن لم ينجح كثير من الأصدقاء.

أ- **الروابط الحجاجية:** الروابط الحجاجية هي الأدوات اللغوية التي تربط بين قولين أحدهما سبب والآخر نتيجة أو بين حجتين تنتج عنهما نتيجة مضمرة أو ظاهرة بحسب السياق،

وهي كثيرة منها: إذا..فإن، لكن، إذ، و، حتى، لاسيما، إذن، بل...مثل قولنا: إذا كنت مريضا فأنت في حاجة إلى الراحة.

ج- العوامل الحجاجية: هي أيضا الأدوات اللغوية التي مهمتها حصر الملفوظ الحجاجي أو بيان ما يقتصر عليه. وهي: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، إلا، ليس إلا، عموما، مع ذلك...إلخ. مثل قولنا: ليس لنا سبيل للتقدم إلا بالعلم وحرية الفكر.

د- المبادئ الحجاجية: يقول أبو بكر العزاوي: " المبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة من القيم النبيلة المحببة للجميع " واعتبارا لهذه الأمثلة مثلا فإنك لا تستطيع إقناع أحدهم في وسطك الاجتماعي أن الرياضة مضيعة للوقت.

هـ- الاستعارة الحجاجية: يلاحظ ميشال لوغيرن في كتابه " الحجاج والاستعارة " أن الاستعارة الحجاجية هي أقوى حجاجية من الأقوال العادية، وهي الفكرة أو الدلالة التي يوصلها المخاطب إلى المتلقي بطريقة غير مباشرة. كأن يقول لنا خطيب سياسي: ترامب ثعلب سياسي.

*** خلاصة: أن الحجاج اللغوي عند ديكرو وأونسكومبر يتميز بأنه حجاج متدرج ، متسلسل الوحدات، متناهي في القوة و يؤدي إلى الإقناع و التأثير في المتلقي ، فالحجاج اللغوي عندهما يندرج ضمن النظريات الدلالية و اللسانية الحديثة التي ترى أن الإقناع لا يتوقف فقط على الصدق كما هو الحال في المنطق ، بل يتوقف على قدرة اللغة الحجاجية، و أن اللغة إلى جانب و وظيفتها التواصلية فإنها تقوم بوظيفة حجاجية .**

إن الحجاج اللغوي يدل على بنية اللغة الحجاجية وقوتها الاستعمالية و ما تتضمنه من وسائل لغوية في الإقناع والتأثير في الغير. وقد حاول ديكرو وأونسكومبر أن يحللا مختلف طاقات اللغة في الحجاج من خلال إظهار بعض أشكال حجاجيتها، وأكدا أن الحجاج اللغوي مثلما أنه يعود لبنية اللغة فإنه يعود أيضا إلى دلالات استعمالاتها المختلفة في السياق.

الحجاج الفلسفي2

السداسي الثاني

المحور الأول: الحجاج الفلسفي في الفلسفة الإسلامية.

المحاضرة01: الحجاج في علم الكلام الإسلامي

تمهيد:

لم يتناول الفلاسفة المسلمون مسألة الحجاج الفلسفي كقضية فلسفية خاصة في فلسفتهم، أي لم يفكروا فيه كقضية فلسفية مستقلة تحتاج إلى تحليل طبيعتها ووظائفها وأهميتها في الخطاب الفلسفي، و مع ذلك، استخدموه في تحليل المشكلات الفلسفية التي إعترضتهم، وفي الدفاع عن آرائهم فيها أو تفنيد آراء أخرى، حيث يشهد الخطاب الفلسفي عند ابن رشد والكندي وابن سيناء والغزالي على قوة الحجج العقلية والنقلية التي يتضمنها، لكن عندما نعتبر علم الكلام جزءا لا يتجزأ من الفلسفة الإسلامية، عندها يجب أن ننظر للفلسفة الإسلامية بشكل أوسع، أي نوسع مجال الفلسفة الإسلامية ليشمل علم الكلام والجدل والمناظرة والبلاغة والفن، عندها سنجد عناية بعض مفكري الإسلام بقضية الحجاج وأساليبه، ومنه فإن الإشكالية المحورية المطروحة علينا هنا هي التساؤل عن طبيعة الحجاج في مختلف تلك المجالات المذكورة، والمرتبطة بالفلسفة الإسلامية: كيف نظر فلاسفة الإسلام ومفكريه إلى مفهوم الحجاج ؟

تعريف علم الكلام :

يرى ابن خلدون أن علم الكلام هو : " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية باستخدام الأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن أهل السلف وأهل السنة."[92] ، فهذا يدل على أنه وجد كعلم يدافع عن القضايا الأصولية الأساسية مثل : وجود الله وصفاته، ووجود العالم الآخر ، العقاب الإلهي ، الحشر، الحرية، القدر مسألة قدم القرآن....الخ.

أما الزركشي فإنه يعرف علم الكلام أنه " الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع له المعاند فيه "[93] أي لا يعود بعد ذكر الحجة للمعنى المقصود من خلط و لا غموض، حيث يتضح المعنى للمتلقي.

---

[92] د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. شبكة الألوكة. أرشيف موقع لسان العرب. مرجع سابق. ص: 13

[93] عباس حشاني: أبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول. مجلة الممارسات اللغوية, العدد 20. 2013. جامعة مولود معمري تيزي وزو. الجزائر. ص: 5.

نشأته: يعتبر علم الكلام علما إسلاميا أصيلا، وعلما حجاجيا بمعنى الكلمة، حيث " برزت أهمية الحجاج خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله وقضية خلق القرآن والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية على غيرها,"[94] فهو قد نشأ عن ظروف خاصة في تاريخ المسلمين أهمها:

- الدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن قضاياها الأساسية بحجج عقلية.
- المشاكل السياسية بين المسلمين كالخلاف في قضية الإمامة التي طرحت إشكال ما هو الأحق بالسلطة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وعن هذه الإشكالية نشأت الفرق الكلامية الأولى كالمرجئة والشيعة و أهل السنة و الجماعة.
- الرد على المبتدعين و المنحرفين، الذين واجهوا انتشار الإسلام من الشعوب الأخرى بالنقد والتشكيك والتحريف والتزييف لمقاصده وآياته وأشخاصه وتاريخه. ومن ذلك رد ابن قتيبة على خصوم القرآن في كتابه " تأويل مشكل القرأن " حيث " يقوم أولا بتصنيف مطاعنهم، ثم الرد عليها بصفة إجمالية من خلال أربعة أبواب: باب الرد عليهم في أبواب القراءات، باب ما أدعي على القرآن من اللحن، باب التناقض والاختلاف، باب المتشابه "[95]

و يمكن التمييز بين نوعين من علم الكلام: علم الكلام الكلاسيكي وعلم الكلام المعاصر في الفكر العربي الإسلامي، حيث تصدى كلاهما لما يلحق القضايا الإعتقادية والإسلامية من تفسيرات خاطئة وتشويه ظالم.

أ- علم الكلام الكلاسيكي:

أدرك علماء الكلام الكلاسيكيين المسلمين أهمية الحجاج في علم الكلام و لذلك فكروا في الوسائل المختلفة التي تعزز الحجاج سواء كانت لغوية أو بلاغية أو منطقية، وظهرت في هذا المجال اتجاهات عديدة منها : الاتجاهات الأدبية الخطابية و يمثلها خاصة الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين " و الاتجاه الثاني : اتجاه منطقي يمثله ابن وهب في كتابه " البرهان في وجوه البيان " الاتجاه الثالث : اتجاه بلاغي منطقي و يمثله السكاكي في كتابه

[94] المرجع نفسه. ص: 6.
[95] المرجع نفسه. ص: 6.

" مفتاح بيان العلوم ". مع العلم أن مصطلح الحجاج يأخذ بمصطلح البيان في الفكر الكلامي الكلاسيكي ، و هذا التداخل بين المصطلحين يظهر أكثر من خلال كتاب الجاحظ " البيان والتبيين " ولذا سنأخذ الجاحظ كمثال بارز باعتباره أديبا أولا ومعتزليا ثانيا أي ينتمي إلى مدرسة من مدارس علم الكلام الإسلامية.

الحجاج عند الجاحظ (150هـ- 225هـ): هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري، واسم الجاحظ يأتي من جحوظ عينيه، وقد عاصر الجاحظ أهم فترة زاخرة بالثقافة والعلم في عهد الخلافة العباسية في العراق، من أهم آثاره " البيان والتبيين" ، " البخلاء" " الحيوان". وهو أديب ومفكر، وأحد شيوخ المعتزلة ورئيس أحد فرقها التي سميت باسمه " الجاحظية "، وقد اشتهر بحجاجه عن اللغة العربية والإسلام باستخدام الحجج العقلية ضد النزعة الشعوبية في عصره.

لقد تميز منهج الجاحظ بطابعه العقلي الرصين، فهو لم يكتف بالمعرفة الحسية، بل حاول إخضاعها للعقل، أي يحاول التحقق منها عقليا، ليبعد الشك والوهم، وقد كان يعيب على أستاذه " النظام " الذي كان يبني أقيسته على أصول ومبادئ لم يتحقق منها عقليا. والى جانب ذلك، فقد كان الجاحظ أكثر فصاحة وبلاغة بين مفكري عصره، وأحد الأقطاب المؤسسين للبيان العربي.

دراسة الباحثين المعاصرين للحجاج في كتاب الجاحظ " البيان والتبيين " لاسيما الأستاذ (محمد العمري) في كتابه: (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) يظهر ارتباط مفهوم الحجاج بمفهوم البيان عند الجاحظ، " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير."[96] ويتخذ عند الجاحظ طابعا إجرائيا عمليا، لأن غرضه هو الفهم والإفهام.[97] مفهوما الفهم والإفهام تتضمنان معاني المعرفة والتوجيه والتأثير في المتلقي قصد تغيير رأيه، لكن يتضمنان أيضا نفي الغموض والخطأ والمغالطة والشبه، وهذا محتمل جدا بالنسبة لأديب ومتكلم مثل الجاحظ قد واجه النزعة الشعوبية ودافع عن القرآن وتصدى لأهم المسائل الكلامية في عصره من وجهة نظر عقلية. ولم يخرج علم الكلام عنده عن الجانب التفاعلي الحواري والتداولي لحياة الناس في عصره، وبالتالي يصدق عليه ما قاله

[96] د. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:191.

[97] المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

الأستاذ " طه عبد الرحمان" بشأن تداولية علم الكلام " فمنهج " الفلسفة التداولية " ليس إلا المناظرة، ولا يزال المرء فيلسوفا ما ناظر غيره أو ناظره غيره، فإذا صار إلى إنكار مناظره ونظر بمفرده وبرهن، قصر عن غرضه واغتصب ما لسواه "[98]

وانتهى الأستاذ محمد العمري إلى نفس الرؤية، إذ يرى أن البيان الجاحظي يأخذ ثلاثة وظائف أساسية في كل أشكال النصوص:[99]

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية: هدف المخاطب هنا هو الإخبار قصد الإفهام.
- الوظيفة التأثيرية: و هنا قصد المخاطب استمالة المتلقي و التأثير فيه بعدما وجد انه ينفر من الموضوع
- الوظيفة الحجاجية : و تظهر أكثر في حالة الخصام بين المخاطب و المتلقي، فيضطر للحجاج.

لكننا مادمنا نتكلم عن علم الكلام والجاحظ من الأدباء والمتكلمين المعتزلة، فسنكتفي هنا برد الجاحظ على النزعة الشعوبية في عصره بشكل عام وحجاجه عن القرآن الكريم:

الشعوبية هي نزعة الشعوب –التي عرفت الإسلام حديثا– إلى العودة لتراثهم وثقافتهم والدفاع عنها، ومن ثم التشكيك في مبادئ الإسلام ولغته و تشويه العرب الذين أتوا به.

تقوم مناظرة الجاحظ للنزعة الشعوبية على تحديد مجالات طعنهم، وهي: الفروسية والحرب، الخطابة والبيان، اتخاذ العصا والمخاصر في الخطابة والشعر، وأخيرا لبس العمائم، وهذا التحديد يفضي إلى معرفة آرائهم، ومن ثم دحضها بالجدل العقلي والميل إلى الإقناع بالتركيز على وجهة نظر معينة.

وبنفس الطريقة حاجج الجاحظ أيضا عن القرآن، حيث كتب في كتابه " نظم القرآن ": " فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الإحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان: فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن خلق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل، وليس ببرهان ولا دلالة "[100] وهو في هذا النص يعتمد في

---

[98] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص: 67.

[99] د. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 212.

[100] د. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص: 154.

الحجاج على تنزيه القرآن من جهة، ومن جهة أخرى الرد على الخصوم الظاهرة أصنافهم في النص[101]

مثال آخر عن الحجاج في علم الكلام الإسلامي نجده في المقابلة بين المعتزلة والأشاعرة في الدفاع عن القضايا الأصولية الإسلامية، فقد تبنى المعتزلة منهجا عقليا منطقيا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وكانوا يؤولون الآيات القرآنية على أسس عقلية، فاستخدامهم للنقل كان في سياق العقل والمنطق، وقد استفادت فرقهم المتأخرة من التراث المنطقي الأرسطي خاصة والفلسفي اليوناني بشكل عام. " وقد دافعت عن حرية الإنسان في خلق أفعاله على غرار القدرية (...) ضد الجبرية (...) التي كانت تقول أن الانسان مجبر على أفعاله خيرا وشرا. وقد قالت المعتزلة أيضا بنظرية الصلاح والأصلح "[102] ومن المهم أن نعرف أن تفسيرهم لقضية حشر الأجساد مثلا أو رؤية الله أو إستوائه على العرش كانت تقوم على العقل، حيث نفوا عن تلك القضايا الطابع المادي وأسسوها على الجانب الروحي العقلي الذي ينسجم مع رؤيتهم.

أما الأشاعرة فقد أسسوا حجاجهم على العقيدة الإسلامية بالاستناد إلى العقل والنقل معا، فلو كان العقل وحده كافيا لمعرفة الحق لما نزل الشرع، ولما أرسل الله للناس الأنبياء والرسل، ومن جهة أخرى، فإن الشرع في الكتب المنزلة من الله لا تفهم إلا بالعقل، فالشرع هنا لا يعمل عمل المؤسس للاعتقاد، بل عمله هو عمل السمع والفهم، ومن هنا كانت الحجج التي يعتمد عليها الأشاعرة هي الحجج العقلية والنقلية معا.

نستنتج أن علم الكلام الإسلامي الكلاسيكي يتضمن فكرة الحجاج و يوظفها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

ب- علم الكلام الإسلامي المعاصر:

نشأ علم الكلام الاسلامي المعاصر أيضا في إيران مع " علي شريعتي " و في مصر مع "حسن حنفي"، وفي المغرب مع " طه عبد الرحمان" الذين حولوا الاسلام إلى " إيديولوجيا ثورية" للدفاع عن عقيدة المسلمين و قضاياهم المعاصرة. غير أن علم الكلام الإسلامي المعاصر لم يبق محصورا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، بل توسع للدفاع عن ما يعتقده

101 المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

102 د. جميل حمداوي: نظريات الحجاج. مرجع سابق. ص: 14.

علماء الكلام المعاصرين من وجهة نظر الإسلام السياسية والتربوية و الاقتصادية والاجتماعية ..الخ .

ومن المهم ان نضرب مثالا بارزا لعلم الكلام الإسلامي المعاصر في شخص الفيلسوف والمفكر المغربي طه عبد الرحمان . فقد حاول هذا المفكر إيجاد علاقة بين المذهب الكلامي و الحجاج الخطابي فلاحظ أن الخطاب الكلامي و الخطاب الفلسفي التداولي لا يختلفان من حيث شروطهما الاستدلالية الحجاجية ، لان كلاهما يستخدم الاستدلال الحجاجي ، وأن علم الكلام يتصف بخصائص تداولية تفوق الخطاب الفلسفي العقلاني والبرهاني، لأنه كان دائما مرتبطا بالمناظرة والجدل والحوار التفاعلي، " ذلك أن طريقة المناظرة الجدلية تشمل كل مناحي الفكر الاسلامي، وكنا نعلم، من جهة أخرى أنها في عرف من تأثر بأرسطو تفيد الظن وحسب، في مقابل منهج المنطق الذي يفيد اليقين. أيعني هذا أن الجزء الأكبر من المعرفة الاسلامية لا يرقى الى مستوى اليقين ويكون طلبه غير نافع و لا واجب؟ "[103]

يجيب طه عبد الرحمان بـ: لا، لأن المسلمين قد أعطوا للمناظرة شروطها العلمية الموضوعية التي تجعلها أقرب إلى الحق والحقيقة، ولذلك اجتهدوا في وضع قوانينها وشروطها، بل ساهم المسلمون " في رد المنطق الى الجدل: هذا المشروع الذي يترتب عنه أن النظر العقلي في أصله مناظرة، وأن ما يدعى " بالعقلانية " إن هو الا " معاقلة " "[104]

هذا يعني أن الحجاج الفلسفي التداولي مثل الخطاب في علم الكلام يتطلب المناظرة والحوار والجدل ويستخدم الوسائل الحجاجية المختلفة اللغوية و المنطقية و التواصلية الحوارية التي تراعي ثقافة المتلقي و مستواه و سياقه الاجتماعي و السياسي ..الخ

[103] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص: 69.
[104] المرجع نفسه. ص: 70.

المحاضرة: 02: الحجاج في المناظرة و الجدل في الفكر الإسلامي:

تعريف المناظرة : هي عبارة عن مواجهة بلاغية وفكرية بين متحدثين أو أكثر حول قضية معينة ضمن وقت محدد.

بحسب القاموس: هي نقاش رسمي يدور حول قضية معينة يتم في جلسة عامة تقدم فيها حججا متعارضة .

تعريف الجدل : لغة : هو الخصام ، مقابلة الحجة و يعني أيضا المحاورة ، و من معاني الجدل الحوار ، قال الجرجاني : " الجدل هو دفع المرء خصم عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه " .

– الجدل هو مصطلح يوناني يعني حوار و نقاش و له معاني متعددة في الفلسفة ابتداء من زينون الايلي حتى الفلسفة المعاصرة، حيث يرى ريكور أنه " بالجدل أقصد الرؤية التي من خلالها التفسير والفهم لا يشكلان قطبين لعلاقة رفع أو امتناع، ولكن اللحظتين المرتبطتين بصيرورة معقدة يمكننا تسميتها التأويل."[105]

لكن الجدل ليس حوارا كيفما اتفق بل هو يرمي عند المتجادلين أو المتحاورين الى مقصد كل منهما ويخضع لمسلمات الحوار التفاعلي ودابه، حيث الكلمات تجد عند مستخدمها المقصد المستقيم في إقامة الحجة وفق مسلمات متفق عليها.[106]

وجه حاجة المسلمين إلى المناظرة و الجدل :

يوجد عدة أسباب دفعت مفكري الإسلام إلى المناظرة و الجدل و ما يحملان من طبيعة حجاجية منها : أن المناظرة و الجدل لهما مشروعيتهما في القرآن : قال تعالى " أدعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن "، والنص القرآني ملئ بأمثلة كثيرة عن المناظرات و الجدل بين أطراف عدة منها : جدال الكفار مع رسلهم " سورة الأنبياء" ، حوار الله مع الملائكة " سورة البقرة " ، حوار سيدنا موسى مع الخضر ، حوار سيدنا إبراهيم مع قومه ، غير أن المسلمين استفادوا أيضا من التراث اليوناني في مفهومهم للمناظرة و الجدل خاصة فلسفة أرسطو وأفلاطون.

---

[105] لزهر عقيبي: جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور. منورات الاختلاف، الجزائر وضفاف لبنان. ط1. 2012. ص: 80.

[106] إحسان عبد المنعم سمارة: التأصيل للحوار والجدل والحجاج اسلاميا. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.ط1، بيروت. ص: 35.

الرد على الخصوم الذين يشوهون الإسلام و مقاصده كان سببا في نشوء المناظرة و الجدل وعلم الكلام ، وكذلك توسع الفتح الإسلامي و انضمام كل الشعوب إلى العالم الإسلامي وهي شعوب لها مذاهبها و ثقافتها المختلفة تطلب وجود الجدل و النقاش و المناظرة لتحسين الانسجام و التوافق و الأمن الاجتماعي. بالإضافة إلى العامل المعرفي وهو توسع معارف وعلوم العربية الإسلامية و تفرعها فرض الحاجة إلى المناظرة و الجدل لتصحيح الأفكار و تجاوز الخاطئ منها .

ومنه نستنتج إن مفهوم الحجاج في الجدل و المناظرة في الفكر الإسلامي مفهوم معقد تتداخل في تكوينه عدة عوامل ثقافية فلسفية .

موقف الفكر الاسلامي من المناظرة و الجدل:

موقف مفكري الإسلام كان جدليا، حيث نجد من جهة من يميز بين الجدل و المناظرة مثلما يميز بين الفلسفة وعلم الكلام ، فالمناظرة مثل الفلسفة تقوم على استدلال برهاني و هدف كل طرف فيها هو بلوغ الحقيقة، بينما في الجدل و علم الكلام تميل الأطراف إلى استدلال ظني، و بالتالي ينتهي إلى نتائج غير يقينيه، حيث الجدل يقوم على مقدمات ظنية و بالتالي ينتهي إلى نتائج ظنية. و حيث المناظرة من النظر، وبالتالي تحمل معنى عقلاني بينما يحمل الجدل معنى الخصومة والجدال. لقد اتخذ هذا الموقف كل الفلاسفة و المفكرين المتأثرين بأرسطو الذي يضع الجدل في مرتبة أدنى من المنطق الصوري، وغيرهم من المفكرين أمثال محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ الجدل حيث يقول: " وإن كان الجدل والمناظرة أحيانا نطلق إحداهما في موضع الأخرى، فإن الجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه، أما المناظرة فتكون الوصول إلى الصواب."[107]

لكن هذا الموقف ليس عاما حيث من مفكري الإسلام من لا يفرق بين الجدل و المناظرة ، و هذا ما نجده عند الجويني أبي المعاري الذي ينفي الطابع المثالي المعطى للمناظرة، ويرى أن المناظرة وإن بدأت عقلانية فإنها قد تنتهي إلى المشاحنة والخصام، ففي كليهما إظهار المتنازعين (مقتضي نظريتهما عن التدافع و التنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما في الإشارة أو الدلالة). وكذلك يعطي ابن وهب للجدل معنى شاملا يتساوى فيه مع المناظرة والمحاورة والخصومة والحجاج: " و أما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف

[107] محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل. دار الفكر العربي. القاهرة. ط/ 1980، القاهرة. ص: 85.

فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتسول في الاعتذارات، ويدخل في الشعر والنثر " و قد أعطى مفكري الإسلام للجدل والمناظرة طابعا أخلاقيا بحيث ميزوا بين الجدل النافع والضار، والمناظرة النافعة التي تسعى إلى الحق تختلف عن المناظرة الضارة التي هدفها إظهار الذات أو التعالي عن الآخرين، ولهذا التمييز مصدر في القرآن.

ويذهب الباجي أبو وليد إلى ربط الجدل بالمناظرة حيث يقول : " و هذا العلم أفضل العلوم قدرا وأرفعها شأنا لأنه السبيل إلى المعرفة ، واستدلال و تمييز الحق من المحال، و لولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة و لا اتضحت محجة و لا علم الصحيح من السقيم و لا المعوج من المستقيم." ويذهب طه عبد الرحمان إلى أن المناظرة حجاجية تفيد التعاقل أو المعاقلة التي كانت تحل في الفكر الإسلامي القديم محل العقل في التراث اليوناني ، فالواحد لا يستطيع وحده أن يحيط بكل المعارف لذلك فهو في حاجة إلى إسهام الغير و التعاون معه، ولهذا فالمناظرة هي من مقتضيات الحوار والجدل وطلب المعرفة والتفاهم والعيش المشترك بين الناس.

نستنتج انه في كلا الموقفين اهتمام بالطابع الحجاجي للمناظرة و الجدل عند مفكري الإسلام فسواء كان هناك تمايز بينهما أو ارتباط فقد أدرك مفكري الإسلام أهميتهما المعرفية والحجاجية.

المحاضرة03: الحجاج في البلاغة:

تعريف البلاغة: البلاغة من الفعل الثلاثي " بلغ " أي أدرك غايته، والإنسان " البليغ " هو الإنسان القادر على إقناع غيره والتأثير فيه بواسطة الكلام أو الكتابة.

وفي تعريف الجاحظ للبلاغة يقول: " إن الكلام لا يستحق اسم البلاغة حتى يسبق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى السمع أسبق من معناه إلى القلب " وهذا التعريف يشير إلى أن البلاغة تعني الكلام الجميل والفصيح الذي يأخذ بقلب السامع، كما يؤكد أن المعنى أولى في البلاغة من الشكل أو الاسلوب الجمالي.

ولذلك لجأ الجاحظ إلى ذم الصمت ودافع على الكلام والخطابة، مما يعني أنه يؤسس لمجتمع عقلاني " تربط بين أفراده علاقات الاقناع بالمنطق أو الاستمالة بشتى صور الدلالة والتعبير الاجتماعي "[108]

وفي كتابه " الإيضاح في علم البلاغة " يعرف القزويني البلاغة بأنها: " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته " . إن البلاغة إذن خطاب فصيح ملائم لمقتضى الحال، يستهدف التأثير في السامع وإقناعه، ومن هنا فهي تحمل طابعا حجاجيا يحقق ذلك الهدف، إذ السؤال المطروح: ما الذي يحمل المتلقي على الاقتناع والتأثر ما لم يحمل الكلام حججا في الخطاب تملي عليه ذلك؟

الحجاج و البلاغة في الخطاب العربي :

الحجاج والبلاغة عند الجاحظ:

في كتاب الجاحظ " البيان والتبيين " هيكلة للنص البلاغي تنطلق من المستوى الحواري، مستوى الحركات، مستوى السلطة:[109] فالمستوى الحواري يبدأ بطرح السؤال الذي يتطلب إجابة قد تثير رد فعل لدى المخاطب، وبالتالي يحدث تفاعلا تقدم فيه الحجج من الطرفين المتكلم والسامع. أما مستوى الحركات فيعبر عن الانتقال من طرح الدعوى إلى تقديم الحجج والتقدم فيها حتى بلوغ النتيجة. وأخيرا، مستوى السلطة التي تعبر في الثقافة العربية على حجة النقل. وبهذا الحجاج يوجد على كل مستويات الخطاب البلاغي.

---

[108] محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق: ص: 209.

[109] المرجع نفسه. ص: 150.

أما الأنماط الحجاجية في الكتاب فهي: المحاورة الجدلية و المحاورة الخطابية، فالمحاورة الجدلية " تطلق على كل خطاب يقوم على المقابلة والتفاعل الموجه...بين فريقين للوصول للحق أو الصواب" وتقوم على ثلاثة مفاهيم: "" الادعاء ويسمى عرض الدعوى، والموانع وهو الاعتراض على الدعوى، ثم التدليل " التدليل بمعنى الإتيان بالدليل على إثبات الدعوى أو الاعتراض عليها، كما هو الحال في المناظرة.

والمثال الذي يقدمه الجاحظ عنها هو حوار ابن السماك مع جاريته: " فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي ؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهم. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد مله من فهم " فهنا إدعاء بن سماك واعتراض الجارية عليه. وأخيرا التدليل من الطرفين: فهو يكرر الكلام لكي تفهم، بينما هي تظهر مللها من التكرار.

أما المحاورة الخطابية: خطاب حجاجي في المسائل الخلافية والمحتملة القابلة للنقاش، وتقوم عند الجاحظ على الأسس التالية: المقدمة، السرد أو عرض الرأي، الحجاج، النهاية. وتظهر في أشكال النصوص التالية وهي: الخطبة، والرسالة، والوصية.

إن الخطبة مثلا عند الجاحظ فن من فنون التكلم مع الجمهور، وهي مرتبطة بمقام الجمهور وطبيعة موضوعها وأهدافه، ومن مقامات الخطبة: مقام التعلم مثل خطبة الرسول (ص) في حجة الوداع، فالجمهور هنا يتعلم من النبي ويتلقى أوامره ونواهيه وتوجيهاته. ومقام الوعظ ويظهر في خطب الوعد والوعيد والترغيب والترهيب مثل خطبة علي كرم الله وجهه، الذي بعد أن حمد الله وصلى على نبيه قال: " أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم والسابق غدا". أما مقام الوعيد فهو مرتبط بالخطبة السياسية وما تتطلبه من تهجم واستخفاف بالخصم أو إطراء ورفع للمقام، ومن ذلك خطبة الحجاج الثقفي في أهل العراق لما لاحظ تكبيرا كثيرا في السوق، صعد المنبر فقال: " يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعة وعبيد العصا...إني سمعت تكبيرا لا يراد به الله، وإنما يراد به الشيطان"، وأخيرا مقام الجهاد، حث ترتبط الخطبة بالحماسة وتعظيم الجهاد في النفوس واستثارة الهمم، ومن الأمثلة عليها خطبة علي بن أبي طالب وحثه على الجهاد في قوله: " أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة ألبسه الله لباس الذل، وشمله البلاء"

الصور المختلفة لأساليب الحجاج البلاغي عند الجاحظ: يستخدم الجاحظ في كل النصوص سواء كانت خطبة أو وصية أو رسالة أو مناظرة الصور الحجاجية المختلفة مثل: القياس والتمثيل والشواهد: فالقياس نوع من الاستدلال، فكما يستدل بالخبر لإيقاع التصديق أو الإقناع فكذلك يستدل بالقياس، وهو عند البيانيين لا يعني بالضرورة استخراج نتيجة لازمة عن مقدمتين، بل يعني عملية توليد المعنى بحسب السياق والظروف، ولذا استخدموا صورا متعددة للقياس ومن الأمثلة التي يسوقها الجاحظ عن القياس هو قول قسامة بن زهير للناس: " يا معشر الناس، إن كلامكم أكثر من صمتكم، فاستعينوا على الكلام بالصمت." ويمكن عرض كلامه كما يلي:

مقدمة كبرى: إن كلامكم أكثر من صمتكم./ مقدمة صغرى: فاستعينوا على الكلام بالصمت/ النتيجة (هنا مضمرة أو ضمنية): الصمت خير لكم من الكلام.

أما التمثيل أو المثال أو المثل فهو " المثال الذي يحذى عليه، كأنما جعله مقياسا لغيره " فهو يدل على العملية العقلية التي تقوم على المماثلة أو المشابهة، شيئان متماثلان فنحكم بما حكم على الأول على الثاني. يقول الجرجاني: " وإن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه وبيانه أبهر " قال تعالى " وضربنا لهم الأمثال " والمثل قد يكون حسنا أو سيئا بحسب الغرض الذي يريده المتكلم. إن أحسن الأمثلة على التمثيل تحريم الربا، إذ قال رسول الله (ص) : " أول ربا نبدأ به ربا عمي العباس " فإن كان ربا عمه أول من يسقط، فمن باب أولى أن يسقط ربا غيره.

ومن آليات الحجاج البلاغي التفريع او تقسيم الكل إلى أجزائه والإيجاز والتمثيل والاستعارة والبديع[110] وأخيرا الشاهد أو الشواهد: هو ما يستشهد به الخطيب من آثار تلقى قبولا لدى المستمعين، وكان أهم تلك الشواهد في تاريخ العرب والمسلمين هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأمثال والحكم والشعر، حيث وظف الخطباء القرآن الكريم, كدليل ليس فقط بما يتعلق بالعبادات بل في كل أمور الحياة السياسية والاجتماعية والتربوية، وهنا نجد الجاحظ يقول: " وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من آيات القرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع..." وينطبق الأمر نفسه على الأحاديث النبوية الشريفة نظرا لمكانتها لدى الجمهور،

[110] أنظر زينب جبر وفاطمة داون: الحجاج عند العرب القدامى والمحدثين. ص: 60.

ولهذا ظهر في عصر الجاحظ الأحاديث الموضوعة والمزيفة، وكان من الضروري أن ينشأ علم الحديث لتمييز الصحيح منها من الفاسد، وأما استشهاد الخطباء بالأمثال والحكم والشعر فأمر قد سار عليه العرب وغيرهم حتى قبل الإسلام.

وبالجملة، فإن للحجاج أو البيان عند الجاحظ، كما يرى الأستاذ محمد بن العمري، ثلاثة وظائف هي: " الوظيفة المعرفية و تتمثل في إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام، أما الوظيفة التأثيرية فتتمثل في تقديم الآخر على وجه الاستمالة وجلب القلوب، والوظيفة الحجاجية تبرز وجه الاحتجاج والاضطرار."

الحجاج والبلاغة عند محمد العمري:

الأستاذ محمد العمري أستاذ مغربي وباحث معاصر كرس بعض مؤلفاته لدراسة البلاغة، ومن ثم علاقتها بالحجاج، ومن بين مؤلفاته في هذا الشأن: " في بلاغة الخطاب الإقناعي "، " أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة "، " البلاغة الجديدة بين التخييل والتداولية. " ويظهر أنه يحاول تقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية، لكن من خلال الحفاظ على موروثها القديم سواء ذلك الذي يعبر عن خصوصية المجتمع العربي الاسلامي أو اليوناني، من هنا تأتي دراسته للبلاغة عند الجاحظ وأرسطو، ومن جهة أخرى يظهر أنه متأثر بالنظرية التداولية المعاصرة في تحليل الخطاب البلاغي بشكل عام.

يعرف الأستاذ البلاغة بأنها: " علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا إيهاما أو تصديقا." ومن خلال كتابه" البلاغة الجديدة بين التخييل والتداولية " يقر الأستاذ أن البلاغة الجديدة تتضمن عنصرا شعريا انفعاليا جماليا وآخر دلاليا عقلانيا حواريا متعلقا بالسياق والظروف، والخطاب البلاغي لا ينفك عن الربط بين هذين العنصرين، فهو يقول: " وهكذا فإننا بقدر ما نعمل على استرجاع المكون الدلالي إلى موطنه الأصلي، بقدر ما نصر على حفظ البعد الوجداني الانفعالي لهذا المكون، البعد الذي يتقاطع فيه مع الشعر، في هذا اللقاء بين العقل والوجدان توجد عاصمة البلاغة." إذن الخطاب البلاغي لا يستهدف فقط الإمتاع باعتباره عنصرا جماليا، بل يستهدف أيضا الإقناع والإفهام باعتباره عنصرا دلاليا، ومن هنا تأتي علاقته بالحجاج.

إن الخطاب البلاغي سواء كان شعرا أو نثرا يتضمن أدوات وأساليب حجاجية يتوقف عليها حصول الامتاع والاقتناع لدى المتلقي، وهي أساليب لغوية وتركيبية وبيانية وكذلك تداولية

مثل ملاءمة الخطاب لمستوى المتلقي، " لأن نجاعة الخطاب ترتبط بمدى الاستناد إلى التوافق الموجود بين المرسل والمتلقي المستهدف، ومدى تلاؤم هذا الخطاب مع مستواه وتطلعاته." وتبعا لذلك حاول أن يثبت كيف يتجلى عنصرا التخييل والتداول في النصوص العربية الساخرة وفي السير الذاتية وفي المجاز الذي يطبع التفكير العربي أكثر: فالسخرية كإحدى أشكال الخطاب البلاغي تقوم على المفارقة أو التقابل الدلالي من جهة، وتقدم في شكل تأثيري جمالي من جهة أخرى. لقد وجد ذلك في النصوص الساخرة التي يقدمها الجاحظ، حيث البخلاء في نصوصه أكثر غنى ومعرفة ومع ذلك فهم بخلاء، وهو تقابل دلالي يعبر عن مفارقة، ولكن الجاحظ يعرض ذلك في ثوب تأثيري جمالي يتمثل في ذهول البخيل وغفلته عن التكيف مع الواقع، وإمعانه في تصوير ذلك الإنحراف إلى حد أنه يجلب لصاحبه الضحك والسخرية من الغير، فعدم التكيف هنا يدل على فشل في الحجاج والدفاع عن الذات.

إن الأمر نفسه ينطبق على السير الذاتية، فهي بقدر ما تتضمن أخبارا واقعية عن صاحبها بقدر ما تنطوي على صور وأخيلة ينسجها المؤلف للتأثير في القارئ. إن حجاجية السيرة الذاتية ليست في الحجج التي يقدمها المؤلف عن الأفكار التي تسرد حياته الواقعية، بل في قدرته على التأليف بينها وإضفاء مسحة جمالية تشد الآخرين إليها، كذلك الأمر في مجال المجاز أيضا، الاستعارة مثلا فيها تداخل بين الواقع والخيال، حيث إلى جانب جماليتها فهي تحاجج على دلالتها.

خلاصة عامة:

يتضح من التحليل السابق أن مفكري الإسلام القدامى والمعاصرين قد اهتموا بالخطاب البلاغي، واستطاعوا استخلاص طابعه الحجاجي في صوره البنائية واللغوية والدلالية المختلفة، كما اهتموا بالمناظرة والجدل وعلم الكلام، حيث عناية المفكرين المسلمين بالحجاج واضحة، وقد أملى عليهم ذلك ظروفهم الثقافية والدينية والسياسية الخاصة، أما التأثير الخارجي فيبدو هذا واضحا في الخطاب الفلسفي الإسلامي لاسيما عند ابن رشد الذي ترجم كتب أرسطو، لا سيما كتابه" الخطابة"

المحور السابع : نظرية الحجاج التداولي

المحاضرة01: الحجاج التداولي من خلال نظرية أفعال الكلام

تمهيد: إذا كانت لسانيات دو سوسير قد ترتب عليها مناهج كثيرة سيميائية وبنيوية و تفكيكية أثرت في مجملها في الفلسفة القارية، فإن الفلسفة الأنجلوسكسونية عامة كانت تطغى عليها اللسانيات التداولية والدلالية، و لم يكن موضوع الحجاج بعيدا عن هذا التأثير الواسع للتداولية المعاصرة التي أرسى دعائمها أصحاب نظرية أفعال الكلام أوستن وسيرل.

لكن ماهي الآثار المترتبة لهذه النظرية على مفهوم الحجاج ؟

تعريف التداولية: مفهوم لساني يربط اللغة بالأفعال التي يقوم بها الإنسان فالكلام إذا ليس مجرد إخبار بل هو كلام مؤثر يدفع المتلقي إلى الاستجابة و إلى الفعل، والنص " ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الانجازية، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية إفعل أو لا تفعل"[111] ولهذا يرتبط الخطاب بالواقع ويحتاج بالتالي إلى الحجاج الذي يأخذ طابعا استراتيجيا من حيث أنه يدافع عن رأي أويفنده أمام الخصوم في الحياة العملية، ففي اللسانيات التداولية تعرف الاستراتيجية الحجاجية بوصفها محصلة لسلسلة من عمليات الاختيار واتخاذ القرار التي تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف اتصالية.[112]

أهم نظريات الحجاج التداولي:

نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل:

يتأسس مفهوم الحجاج التداولي على نظرية " أفعال الكلام " التي صاغها الفيلسوف الأمريكي" أوستن سنة " 1662م في كتابه " نظرية أفعال الكلام" ، وتلميذه جون سيرل في كتابه " أفعال اللغة " سنة 1669 ، لذلك تقوم نظرية أفعال الكلام على ثلاث خصائص أو عناصر أساسية:[113]

---

[111] لدكتورجميل الحمداوي، مرجع سابق. ص: 51

[112] فولفجاج هاني وديتر فنهفيجر: مدحل الى علم اللغة والنص. تر: ج.فالح شبيب العجمي.جامعة الملك سعود. المملكة العربية السعودية. 0999. ص: 314

[113] الدكتورجميل الحمداوي، مرجع سابق. ص: 52

فعل القول : و هو إطلاق الكلام في جملة مفيدة سليمة التركيب و ذات دلالة و نستطيع أن نقول عنها (القول الإخباري).

الفعل المتضمن في القول : أي الغرض المقصود من القول كطبيعة الامر او النهي او النداء ..الخ (الفعل ألانجازي) .

الفعل الناتج عن القول : هو ما يترتب عن القول من آثار على المتلقي (الفعل التأثيري).

يمكن تقسيم أفعال الكلام حسب ما يقصد بها من أغراض إنجازية إلى :

التقريريات : تشمل كل ما يؤكده المتكلم و ما يقرره من أحداث في الواقع مثلا: (الجزائر استقلت في 1962 أو ابن باديس من جمعية العلماء المسلمين) هذه الأمثلة يمكن الرجوع اليها ، و التأكد منها.

الطلبيات أو الأمريات : تشمل ما يطلبه المتكلم من المخاطب في فعل ما مثل : (اخرج من القسم ، هل ستنجز واجبك غدا) هنا الأمر.

البوحيات أوالإفصاحيات : هي ما يفصح عنه المتكلم من شعور إزاء ذاته أو غيره مثلا: أحب أن أراك سعيدا ، مللت الانتظار ، أكره الصهاينة .

الوعديات : تفيد التزام المتكلم بإنجاز فعل في الزمان المستقبل ، مثل : أعدك بسفر رائع إلى مصر.

التصريحيات : يقصد بها إعلام المتكلم لإنجاز فعل يفيد تغيرا مترقبا على المستوى الخارجي، مثل : تصريح رئيس الجمهورية الإعفاء من الخدمة الوطنية .

الدلالات الصريحة و الضمنية : إذا كانت الدلالات الصريحة واضحة فان الدلالات الضمنية يصنفها أصحاب هذه النظرة إلى صنفين :

معاني عرفية أو معاني حوارية أو سياقية

و يمكن تحليل ايضا المعنى المتضمن حسب العرف إلى نوعين :

المعنى المقتضى و المعنى المستلزم منطقيا .

أما المعاني الضمنية المتداولة عن السياق فهي نوعان :

المعاني الناتجة عن سياق عام و المعاني الناتجة عن سياق خاص .

المعنى الضمني للجملة يتألف من معنيين عرفيين وهما :

الاقتضاء (هل تعيرني القلم الأحمر) تتألف من معنيين عرفيين هما: الاقتضاء: وجود قلم احمر و الاستلزام المنطقي ، إن يكون القلم لونه أحمر . أما من حيث المعنى السياقي أو الحواري هو: الالتماس يعني التماس المتكلم إن يعيره القلم الأحمر.

نستنتج مما سبق أن النظرية التداولية تنزل باللغة إلى مجال الواقع و الفعل و أن المحلل التداولي لا يقف عند التصنيف فقط بل يربطها بالمجال الواقعي و مجال الحوار الذي يمكن أن يحصل بين أطراف مختلفة ، فالخطاب بالنسبة للتداولية خطاب يستلزم الحوار و الانجاز.

وأن تحليل نص أدبي أو أي نص أخر بحسب نظرية أفعال الكلام نقوم بتصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات خبرية و أخرى إنشائية، إلى عبارات صريحة المعنى محددة في أفعالها العضوية ثم تبيان قوتها الإنجازية الحوارية و منها تنتقل الى معاني ضمنية سواء كانت عرفية أو اقتضائية أو عضوية ، كما تراعي الاستلزام الحواري لتلك الجمل باستنتاج بنيتها الحجاجية و السياقية والمقامية، و هكذا فان نظرية أفعال الكلام ترى أن اللغة تصبح أكثر حجاجية لما ترتبط بالسياق والحوار و طبيعة المتكلم و هذا ما يؤسس عليه معنى الحجاج التداولي.

المحاضرة02: نظريات أخرى في الحجاج التداولي.

نظرية ترودي جوفييّة: T. Gouvier

تندرج دراسة جوفييه للحجاج في إطار إشكالية دراسة الحجاج كتخصص والتنظير لهذه العملية، من خلال تقديم رؤية أو نظرية، وكان ذلك مع مجموعة من الباحثين الآخرين أمثال دوغلاس ولتن وشارل ويلار وتجارك كروتر[114] فقد قدم كل من هؤلاء وجهة نظره الخاصة. لكن ما يميز جوفييه وويلار أنهما ركزا في بحثهما على مفهوم الحجة في سياقها التداولي.

" يعرف جوفييه الحجة بطريقة تقليدية تماما، كمجموعة من القضايا مبينة في مقدمات ونتائج."[115] وتتصف الحجة بالطابع التبريري والعقلاني وتهدف إلى الإقناع، فهي مبنية على التواصل والانفتاح والمناقشة وليس العنف.

[114] فيليب بروتييه، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج.. مرجع سابق. ص: 87.
[115] المرجع نفسه. ص: 88

أما صلاحية الحجة عنده فترجع إلى توفر ثلاثة شروط:" شرط القابلية وشرط المواءمة وشرط التبرير"[116] وكل ذلك متعلق بالمقدمات، فالقابلية هنا هي قابلية المقدمات ومدى قبولها، والمواءمة هي أن تكون المقدمات في علاقة بالنتيجة، وأخيرا التبرير الذي يدل على كفاية المقدمات للنتيجة. وبما أن الحجاج متعلق بعلاقة المقدمات بالنتائج، فإن الإخلال بشروط صلاحية الحجة يؤدي إلى نتائج عكسية. " فقد سمحت هذه الشروط لجوفييه بوضع الشروط التي يمكن أن تجعل من المقدمات غير مقبولة، فمقدمة ما تكون غير مقبولة إذا كانت خطأ، ومجموعة مقدمات تكون غير مقبولة إذا لم تكن متماسكة (...) والمقدمة تكون غير مقبولة عندما ترتكز إلى افتراض غير صحيح أو مختلف عليه، وتكون غير مقبولة إذا لم يقبل صحتها شخص لا يقتنع مباشرة بالنتيجة التي تبررها، وأخيرا تكون المقدمة غير مقبولة إذا كانت أقل قبولا من النتيجة ذاتها."[117] وهكذا يتبين أن مفهوم الحجاج يتأثر عند جوفييه بالسياق الحواري التداولي، ولكنه يأخذ أيضا طابعا معياريا، إي يخضع لمعايير معينة في كل مرة يحتاج فيها الى الفعالية العملية.

نظرية شارل ويلار: Charles Willard

ترتكز نظرية ويلار على مفهوم للحجة يستقي دلالته من كثير من حقول البحث المعرفية والعلمية، فبناء مفهوم الحجاج بالنسبة له لا يمكن اختزاله في حقل معرفي واحد، وهكذا يمكن أن نستفيد في بناء ذلك المفهوم من " الفلسفة وعلم اجتماع العلوم، وعلم اجتماع المعرفة، وفي المنطق غير الصوري، والإبستمولوجيا، وفي الأخلاق وفي علم السياسة وفي الفكر النقدي."[118]

لكن تساؤل ويلار حول الحجاج اتخذ طابعا اجتماعيا ونقديا، فهو يبحث عن كيفية بناء الحجاج للعلاقات الاجتماعية، ومن الناحية المعرفية كيف ينظم الحجاج المعارف، " فاهتمامه التحليلي يتركز على البناء الاجتماعي للحجاج، ويتبعه هم نقدي يتركز على شروط وإمكانيات الخطاب العام الناجح."[119] إن نجاح الحجاج مرتبط بقدرة الأفراد على التفاعل والتواصل وفقا للغة العادية المفهومة من قبلهم، كما يرتبط بمدى احترامهم لقواعد الحوار

---

[116] المرجع نفسه. ص: 88.
[117] المرجع نفسه. ص: 89.
[118] المرجع نفسه. ص: 91
[119] المرجع نفسه. ص، ص: 92/91

والنقاش، حيث ينشأ الحجاج عن الصراع والمعارضة، والحجة لا تأخذ مكانها إلا ضمن عدم التوافق على الرأي بين الأشخاص، وبالتالي نقاش جدلي ومجابهة، لذا " فالحجاج بالنسبة لويلار عبارة عن مواجهة بين وجهتي نظر متعارضتين، وفي الوقت ذاته هو التبريرات أو البراهين المقدمة لإثبات وجهة النظر هذه. "[120]

لكن وجهة نظر ويلار تخص أيضا الحجاج المغالطي، " فهو يعتقد أن المغالطات كطرق للحجاج يجب اعتبارها عيبا أخلاقيا أو إجرائيا أو علائقيا ولكن ليس عيبا منطقيا"[121] فهي عيب بالنسبة للمنطق الصوري، ولكنها ليست عيبا بالنسبة للمنطق العملي التواصلي، حيث يستخدم الناس بعض هذه المغالطات، فاستخدام حجة شخص الخصم في المجابهة معه يمكن أن تكون معيبة في منظور العلاقات الاجتماعية، ولكنها ليست كذلك من الناحية المنطقية.

خلاصة: يتبين من التحليل السابق لوجهات النظر المختلفة في الحجاج التداولي أنه حجاج مرتبط بمفهوم التداولية وما تعنيه من تواصل وتفاعل وحكم للسياق، ومن ثم فالخطاب يتأثر في حجاجيته بهذا البعد التداولي، حيث اللغة أداة للتواصل والحوار والتفاهم، الأمر الذي يفرض على الحجاج مراعاة المقصد والمقام، والمعايير الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي تحكم المجال التداولي، ومن هنا كانت النظريات التداولية في الحجاج نظريات معيارية تضع شروطا للحجة والحجاج.

[120] المرجع نفسه.. ص:92.
[121] المرجع نفسه. ص: 93..

المحور الثالث: نظرية الحجاج الطبيعي المنطقي

تمهيد:

الفرق بين اللغة الطبيعية واللغة الرمزية: يظهر هذا الفرق ارتباط الأولى بالحياة العملية وبالتعبير عن الأشياء والأشخاص والعلاقات بينهم، ومهمتها التواصل والتفاهم بين الناس، لذلك تختلف باختلاف الأشخاص والسياق، وتمتاز بالتعدد. في مقابل ذلك فإن اللغة الرمزية مجردة وعقلية وموحدة وتستخدم للأغراض المعرفية والعلمية مثل لغة العلم أو المنطق الرياضي.

لكن السؤال المطروح هل الطابع الحجاجي للخطاب يتأسس على اللغة الرمزية أم اللغة الطبيعية العادية، وبالتالي هل يتأسس على لغة المنطق الرياضي أم لغة المنطق الطبيعي ؟.

موقف قريز جون بليز (Grise Jeon Blaise):

الإشكالية التي ينطلق منها هذا المفكر هي التساؤل عما إذا كان المنطق الرياضي كافيا كأنموذج للحجاج و البرهنة العلمية ، إجابة هذا المفكر على هذا التساؤل هي إن المنطق الرياضي غير كافي و لذلك حاول تحسينه باستعمال المنطق الطبيعي، وقد انتهى إلى أن منطق القضايا ليس إلا مستوى من مستويات المنطق الطبيعي، فهويقول: " لقد فهمت فيما بعد أن منطق الملفوظات أو القضايا لم يكن سوى مستوى من المنطق الطبيعي، لذلك أدرجت مفهوم محور الموضوع وحجزت هذا الحقل للمحمول[122]

الفرق بين المنطق الرياضي و المنطق الطبيعي :

يميز هذا المفكر بينهما في ثلاث سمات اساسية[123] :

أن المنطق الطبيعي ليس شكليا فقط أي انه محتوى فهو ليس رمزيا و إنما يتعلق بوقائع .

يعتبر المنطق الطبيعي خلاقا فهو يسمح بعمليات مبتكرة و ليس عمل ميكانيكي آلي.

أن المنطق الطبيعي يطرح ضمن إطار نصي و حواري و تواصلي.لأن الخطاب دائما يصدر عن مرسل باتجاه مرسل اليه، والرسالة التي يتضمنها الخطاب لا يمكن أن تفهم إلا

[122] ينظر هامش الصفحة 98 في كتاب Grise Jean Blaise :1982, DE la logique à l'argumentation Genéve et Paris, édition, Librairie Droz- Genève- Paris, p : 98

[123] فيليب بروتييه، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج.. مرجع سابق. ص: 98

من خلال التمثلات المعرفية والاجتماعية والثقافية التي يبنيها المرسل في شكل خطاطة ذهنية ومنطقية ويعيد المرسل بناءها في ذهنه من جديد لكي يحصل الفهم.

ومفهوم الخطاطة الحجاجية shématisation عند جون بليز تتميز بطابعها المنطقي باعتبارها صادرة عن العقل، وبالطابع الخطابي لأنها مرتبطة باللغة الطبيعية في علاقتها مع المجال التداولي والحواري، ولذلك نستنتج ان المنطق الرياضي غير كاف كأنموذج للحجاج العلمي أو غير العلمي حيث يرتبط المنطق الطبيعي باللغات الطبيعية، ومرتبط بالزمن و السياق فهو منطق الفاعلين و الأشياء أي يحدث في سياق تعبير مشترك و تواصلي مرتبط بأوضاع الفاعلين و مقاصدهم و استخداماتهم للغة و هذا يعني أن المنطق الطبيعي يهتم بدراسة المضامين و العمليات التي يبني عليها الخطاب.

لكن لا يجب أن نفهم من هذا أن جون بليز يرفض المنطق الرياضي، لكن يرفض اختزال الحقيقة فيه، والواقع أنه يريد أن يربط في الحجاج بين المنطق الرياضي والمنطق الطبيعي،" لذلك فإن مصطلح المنطق الطبيعي يعبر في حد ذاته عن هذه الرغبة الاصلاحية "[124]

موقف اميليوقاتيكو (EmillioGottico):

تكلم هذا المفكر عن الخطاطة الحجاجية وهي : تصور أو تخطيط أولي مبني على حجج لإقناع الخصم أو المتلقي و تحقق بالنسبة له أنواعا ثلاثة من الانسجام:[125]

انسجام داخلي: يقوم على النماذج و الأنظمة الصورية أي أن الخطاب يصبح غير متناقض مع نفسه داخليا .

انسجام خارجي : يتعلق بالقواسم المشتركة بين أطراف التواصل في سياق معين .

انسجام خطابي : يتعلق ببعض التمثلات العقلية و الوجدانية بين أطراف التواصل .

و منه استنتج أن دور المنطق الطبيعي هو استكشاف التواصل الخارجي و البحث عن الانسجام الداخلي الخطابي من خلال البحث عن التمثلات العقلية و العاطفية و الاجتماعية.

[124] المرجع نفسه. ص: 98,

[125]، د/ جميل الحمداوي مرجع سابق: ص. 50.

المحور الرابع: آليات المقاربة الحجاجية.

تمهيد: يستهدف هذا المقياس الوصول بالطالب إلى الإمساك بالمعلومات الكافية التي تؤهله لتحليل الخطاب أو النص تحليلا حجاجيا، أي يبحث عن الطابع الحجاجي في النصوص الفلسفية، ولكن قد يحصل الطالب على المعلومات، ومع ذلك فهو يحتاج إلى طريقة في مقاربة النص حجاجيا، ومنه ماهي المقاربة الحجاجية، وكيف يمكن تطبيقها على النص الفلسفي ؟

تعريف المقاربة الحجاجية:

المقاربة بوجه عام من القرب والتقرب، و في القاموس الفرنسي لاروس Larousse هي طريقة في تناول الأشياء والموضوعات، وإذا أضفنا لها صفة ما تخصصت بها واقترنت بمجالها، كأن نقول المقاربة الفلسفية والمقاربة السوسيولوجية والمقاربة الحجاجية.

المقاربة الحجاجية هي إذن طريقة في تناول النصوص وأشكال الخطاب المختلفة قصد الوقوف على طابعها الحجاجي. فهي " تحليل النصوص أو الخطابات التي تتضمن أبعادا حجاجية مباشرة أو غير مباشرة "[126]

وهذا التعريف يعني أن المقاربة الحجاجية هي البحث في النص أو الخطاب عن كل ما تقترحه النظريات المدروسة في الحجاج من مفاهيم وأساليب وطرق في الحجاج مثل الروابط والمبادئ الحجاجية عند ديكرو أو الأساليب الاستدلالية والبلاغية عند أرسطو وأصحاب النظرية الجديدة في البلاغة، أو البحث عن الخطاطات الحجاجية عند جون بليز وقاتيكو، أو البحث عن الحجاج في الجانب التداولي كما تقدمه نظرية أفعال الكلام عند اوستن وسيرل، أو يقترحه أصحاب نظرية الحجاج الجدلي.....فالمقاربة الحجاجية يمكنها أن تعتمد على كل معطيات النظريات السابقة في الحجاج، كما يمكنها أن تعتمد على إحداها.

الخطوات المنهجية للمقاربة الحجاجية: لكن المقاربة الحجاجية هي طريقة منهجية أيضا تخضع للخطوات التالية:[127]

[126] الدكتور جميل الحمداوي، مرجع سابق، ص: 59

- دراسة الحجاج في لغته الطبيعية وفي ماديته الخطابية.
- ربط الحجاج بسياقه التواصلي والحواري واستحضار أطراف التواصل والزمان والمكان والثقافة.
- رصد آليات الحجاج وخطاطاته، وتبيان طبيعتها وطريقة اشتغالها داخل النص قبل الكلام وبعده، عند طرح الدعوى والدعوى المضادة، ومحاورتها حجاجيا في لحظات التشكيك والتفنيد والتعديل والتصحيح.
- استجلاء اللوغوس والايتوس والباتوس.

مجالات المقاربة الحجاجية:

مجالات المقاربة الحجاجية متعددة بتعدد أشكال الخطاب ومجالاته العلمية والعملية والفلسفية والفنية، حيث توظف المقاربة الحجاجية في عصرنا في الخطابات اللغوية والفنية والأدبية والفلسفية والاعلامية، حيث يمكن للباحث أن يدرس الطابع الحجاجي لخطاب فلسفي عند فيلسوف أو يدرس حجاجية لوحة فنية، أو يركز على حجاجية الخطاب الاشهاري مثلا في الجزائر، مما يدل أن المقاربة الحجاجية تحتاج إلى ثقافة أوسع بالتخصصات المختلفة.

[127] المرجع نفسه. ص: 61

المحور الرابع: البرهان في اللغة الرمزية

المحاضرة01:

1-تعريف الرمز واللغة الرمزية:

أ- تعريف الرمز:

" الرمز هو العنصر الممتلئ بالدلالة التي تتجاوز ظاهره...ويسمح بالانتقال من المرئي إلى اللامرئي"[128] فهو إشارة تختزل دلالات كامنة، ومن هنا تأتي الحاجة إلى تأويله.

وعند بول ريكور الرمز " يبعث على التفكير " أي يفضي على الأشياء أفكارا تحتاج الى التأمل، ولقد وجد ذلك ليس فقط في الأساطير أو النصوص الدينية، بل تكلم عن رموز الفعل الاجتماعي، وهي رموز خارجية مثل رموز الايديولوجيات والثقافات التي يخضع لها الفعل، والرموز الداخلية المكونة لبنية الفعل والتي تعبر عن طبيعته الخاصة والنوعية.

واللغة عند إدغار موران تتكون في الحقيقة " من منطوقات إشارية، ومنطوقات رمزية، المنطوقات الاشارية هي الكلمات التي تشير إلى الأشياء، والمنطوقات الرمزية تشير الى المعنى، والمعنى ليس هو الشيء"[129]

ب- **تعريف اللغة الرمزية:** هي اللغة التي تستخدم الرموز للدلالة على المفاهيم والعلاقات والأشياء والمشاعر، والمعاني، حيث يعترف إدغار موران نفسه، بأن الانسان يزاوج بين استخدام الاشارات والرموز في استخدامه للغة.[130]

ويمكن أن نعرف أشكالا منها:

- اللغة الرمزية الأسطورية: حيث كثيرا ما تستخدم النصوص الأسطورية الرموز للتعبير عن أفكارها، رموز الحياة والموت، ورموز الآلهة في الأساطير اليونانية، يبدو هرمس مثلا كنصف رأس منحوت، واسمه كرمز يدل على قدرته على الترجمة والتأويل.

[128] Géralde Gombier ; Sybolisme dans l'art Roman. La taillanderie, 2012, p :9

[129] أحمد عبد الحليم عطية: ليوتار والوضع ما بعد الحداثي. المنهل. 2011. ص: 292.

[130] المرجع نفسه. ص: 292.

- اللغة الرمزية الدينية: واللغة الدينية هي لغة رمزية أساسا، استخدام الأحرف الأولى في بعض سور القرآن الكريم كرموز تدل على معاني مختلفة (طه، كهيعص، يس ...) حركات الصلاة أو طقوسها، الذكر، الدعاء...
- اللغة الرمزية العلمية والمنطقية: وهي لغة واضحة تستخدم الرموز كاختزالات ممكنة لمفاهيم وعلاقات بين الأشياء، فهي لغة اشارية أكثر، لأنها مرتبطة بالواقع.

اللغة الرمزية بين الحجاج والبرهان: تختلف أشكال الحجاج والبرهان في اللغة الرمزية باختلاف طبيعتها، فمثلا في اللغة الرمزية الأسطورية والدينية تستخدم أشكالا من الحجاج مثل السرد القصصي أو الأسطوري، أو الترغيب والترهيب، وأساليب استدلالية كالاستدلال الاستقرائي أو الاستنباطي أو الاستدلال بالمماثلة أو الاستدلال بالخلف... أو بلاغية كالاستعارة أو التشبيه أو المثال... أو واقعية مثل الحجة بالسلطة أو الاستشهاد بوقائع اجتماعية أو تاريخية...

أما في اللغة الرمزية العلمية والمنطقية يستخدم أكثر البرهان، وهو استدلال ينطلق من مقدمات وينتهي إلى نتائج.

اللغة الرمزية والفلسفة:

الموقف الوضعي: يمكن إقامة الفلسفة على البرهان، وعلى الفلسفة أن تبحث على لغة رمزية، لكي تتفادى مطبات وأخطاء اللغة. كان أصحاب المدرسة الوضعية مع برتزندراسل وفيتجنشتاين في مرحلة تفكيره الأولى من الفلاسفة الجادين في البحث عن تلك اللغة الرمزية التي وجدوها في المنطق الرياضي خاصة، ولكن سرعان ما تبين لهم أنه من الصعب أن نجعل من لغة الواقع والحياة لغة رمزية ثابتة وعالمية، لأنه كلما ارتبطت اللغة بالحياة وبالواقع كلما أغتنت دلالتها ومفاهيمها، وكلما استطاع الفيلسوف فهم واقعه.

ولذا يجب التمييز بين وضع البرهان في اللغة العلمية الصورية ووضع الحجاج في اللغة الواقعية حيث:

أ- الأوليات في البرهان الرياضي تكون بديهية و غير قابلة للنقاش، في حين أن المقدمات التي ينطلق منها الحجاج لا تكون بالضرورة بديهية بل فقط مقبولة و مشتركة بين أفراد المناقشة.

ب- في البرهان نعتمد على الأدلة العقلية و على العلاقات المنطقية الصارمة التي لا تهتم بالذوات المتلقية، في حين يأخذ الحجاج الذات المتلقية بعين الاعتبار بحيث يسعى لجعلها تتقبل عاطفيا ما نقوله اعتمادا على معطيات بلاغية تروم التأثير في أحاسيس المخاطب و استدراجه للاعتقاد بصواب ما ندعيه من قضايا.

ج- يتأرجح البرهان بين الصواب و الخطأ، فتكون قيمته في ذاته و في تماسك عناصره الداخلية، بينما نجد الحجاج يسعى إلى التأثير الخارجي عبر عمليتي التبرير و الإقناع، لذلك فقيمته لا تكمن بالأساس فيما إذا كان صحيحا أو خاطئا و إنما في قوة أو ضعف فاعليته التأثيرية.

هكذا نخلص إلى أن الحجاج يتحدد، على العكس من البرهان، كمجموعة من الأساليب الخطابية التي تعمل على جعل أطروحة ما مقبولة حيث تهدف إلى إحراز إجماع العقول التي تتوجه إليها. و في الوقت الذي نجد البرهان يحمل في ذاته البداهة و الضرورة، نجد أن الحجاج يتحرك داخل حقل الاحتمال و يكون دوما موجها إلى جمهور. فمن الواضح أن هناك اختلافا بين الحجاج و البرهان سواء في مستوى المنطلقات أو التقنيات المعتمدة، أو في مستوى الأهداف المتوخاة. و بناءا على هذا التمييز يمكن التأكيد على أن خطاب الفلسفة حجاجي و ليس برهانا – رغم ذهاب الكثير من الفلاسفة القدماء إلى اعتبار القول الفلسفي قولا برهانيا – ذلك أن الفلسفة لا تقوم على قضايا صورية كما هو الشأن بالنسبة للمنطق و الرياضيات.

خاتمة:

يتضح من خلال دراستنا للحجاج أننا حاولنا التعرف على مفهومه وعلاقته بالمفاهيم الأخرى لاسيما اللسانيات في أشكالها المتعددة، وكذلك الخطاب حيث لا حجاج دون خطاب، وعملنا على التأسيس لمفهومه تأسيسا تاريخيا ونوعيا، حيث الحجاج الفلسفي أنواع وطرائق مختلفة استدلالية وبلاغية ومنطقية.

إن أهمية الحجاج في الخطاب الفلسفي تأتي من الطابع اللغوي للخطاب الفلسفي وعلاقته بالسياق الثقافي والاجتماعي والعلمي بصفة عامة، ولذلك فرغم الطابع الكوني للخطاب الفلسفي الذي يجعله أقرب الى البرهان والمنطق فإنه لا ينفك عن استخدام الحجاج في الدفاع عن أطروحاته أو تفنيدها، وهو إذ يستخدم الأساليب المنطقية والاستدلالية فإنه يكيفها وفقا لطابعه اللغوي والجدلي والتداولي.

تطرقنا في هذه الدروس الى نظريات الحجاج الفلسفي التي عرفت في العصر الحديث تنوعا كثيرا، حيث اتضح اختلاف استراتيجياتها في تناول مسألة الحجاج، من ذلك أن نظرية الحجاج البلاغي عند أرسطو التي ركزت على أهمية البلاغة في الحجاج وعلاقتها بالجدل ودورها في التأثير والاقناع، ومن ثم علاقتها بالحجاج، حيث يكشف أرسطو عن حجاجية الايتوس واللوغوس والباتوس، وكذلك الشأن في النظريات الأخرى التي تقارب الحجاج في الخطاب الفلسفي من وجهات نظر لغوية ومنطقية طبيعية وتداولية.

أما بالنسبة للحجاج في الفكر العربي الاسلامي، فقد أظهرت الدراسات عناية مفكري الاسلام بالحجاج في مجالات متعددة منها البلاغة والجدل والمناظرة وفي الفن الاسلامي حيث تظهر الفنون الاسلامية حجاجيتها على الروح الاسلامية وخصائصها الدينية.

ويمكن تطبيق ذلك على مستوى كل النصوص، حيث المقاربة الحجاجية تمكن الطالب من دراسة أي نص بالاستناد إلى التحليل الحجاجي والاستفادة من كل النظريات في هذا المجال،

حيث المقاربة الحجاجية هي طريقة في تناول النصوص الفلسفية وغير الفلسفية تركز على أنواع الحجج المستخدمة فيها، والاستراتيجيات التي تبنى عليها، والمقاصد التي تريد بلوغها.

وأخيرا، فإن هذه الدروس تنتهي بتحليل علاقة الحجاج باللغة الرمزية، حيث إذا كانت اللغة الرمزية العلمية في العلوم المختلفة والرياضيات خصوصا تقوم على البرهان، فإن اللغة الرمزية الفنية والأدبية والأسطورية تقوم على نوع من البرهان والحجاج مختلف، إذ هو يستهدف أكثر استمالة الخصوم والاشتغال على توجيههم والتأثير فيهم باستخدام أساليب الترغيب والترهيب.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع باللغة العربية:

- د.بيار مالك: الفلسفة وتعليمها. المنهل 2016.
- مشال فوكو: نظام الخطاب. ط1. تر: محمد سبيلا دار التنوير.ط1 1984
- أوبيير دريفوس وبول رليبوف: ميشيل فوكو. مسيرة فلسفية. تر: جورج أبي صالح. مراجعة وشروح مطاع صفدي. مركز الانماء القومي. بيروت.
- فولفجاج هاني وديتر فنهفيجر: مدخل إلى علم اللغة. تر: فالح شيب العجمي. جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د،ط، 1999.
- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المغرب.
- عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، الطبعة1، 2006.
- جاكلين روس: المناهج في الفلسفة. تر: د. عبد العزيز ركح, مركز نماء للبحوث والدراسات. الأردن
- محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. عالم الفكر.2000.
- أرسطو طاليس: الخطابة. حققه وعلق عليه عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، ط1، بيروت، لبنان، 1979.
- فيليب بروتون، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي. مطابع جامعة الملك عبد العزيز.ط1. 2011 .السعودية.
- جابر عصفور: آفاق العصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997، القاهرة.
- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج. العمدة في الطبع. ط1، 2006

- فيليب بروتون وجيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج. تر: الدكتور محمد صالح ناجي
الغامدي. مركز النشر العلمي. جامعة الملك عبد العزيز. ط1، 2011.
- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية. كلية الآداب. تونس.
- أبو بكر العزاوي: اللغو والحجاج. العمدة في الطبع. ط1، 2006.
- جون لانكشون: أوستن. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام. تر: عبد القادر قينيني
- محمد سالم ولد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. عالم الفكر. 2000،

2- المراجع باللغة الأجنبية:

- Michel Mayer : Qu'est ce que l'argumentation. Vrin, paris
- Paul Ricoeur : Du texte à l'action. herméneutique II, éditions du Seuil.
- Vahram Atayan, Daniela Parizzini : Argumentation : théorie, langues, discours. Editions Peter Lang. 2009.
- Alain Lempereur, Michel Meyer : L'argumentation. Colloque de cerysie. Textes édités par: éditions Mardaga. 1991.
- Pierre Livet : L'argumentation : droit, philosophie, sciences sociales. Les Presses de l'Université Laval. L'Harmaton.2000, Canada P : 27.
- Victor Augustin: Dictionnaire grammatical critique et philosophie de la langue française. Bibliothéque Municipale de Lyon. 2010

- Chaim Perelman : L'empire Rhétorique : Rhétorique et Argumentation. Vrin. 1997
- Marianne Doury, Sophie Moirand : L'argumentation aujourd'hui : positions théoriques en confrontation. Presses Sorbonne nouvelle. 2004
- Roland Schmetz: L'argumentation selon Perlman: pour une raison au Cœur de la rhétorique. Presses universitaires de Namur, 2000
- Paul Ricœur: La métaphore vive. Seuil
- Paul Ricœur : Temps et récit,t1, L'intrigue et Le récit historique, éditions de Seuil,
- Paul Ricœur : Soi même comme un autre. Editions du Seuil, 1990,
- Olivier Mongin: Paul Ricoeur.seuil/ paris
- Ernest Havet : De la Rhétorique d'Aristote.DE L'imprimerie de Crapelet

1-المجلات والدوريات والصحف الالكترونية:

كمال الزماني: الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال مصنف كتاب " البلاغة الجديدة" لبيرلمان وتتيكا. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية. المركز الديموقراطي العربي. بيرلين . ألمانيا. العدد : 11. المجلد 2. كانون الثاني 2020. ص: 117.

شاييم بيرلمان: امبراطورية البلاغة، ترجمة: أنوار طاهر.2016/4/27. بتاريخ: 2021/01/15 الساعة: 19: 10. https://hekmah.org/%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D

د. جميل الحمداوي : حجاج التغليط عند السوفسطائيين. صحيفة المثقف. العدد: 5274. السبت: 16. 01. 2021.

القواميس والموسوعات:

1- بن منظور الأنصاري: لسان العرب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1، ج2, 2003. مادة حجاج. ص: 257.

[2] J.Dubois, H.Metterand, A. Dauzat : Dictionnaire étymologique et historique du français. Editions Larousse. 2006.

[3]جميل صليبا: المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت، 1972.

أندريه لالند: موسوعة لالند الفلسفية. تر: خليل أحمد خليل. منشورات عويدات، ط2، ج1، 2001، بيروت، لبنان